
تفسير القرآن العظيم
- جزء عمّ -
د. عبد الملك القاسم
القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبدالملك بن محمد
تفسير القرآن العظيم جزء عم / عبدالملك بن محمد القاسم - الرياض، ١٤٣٠هـ
... ص ؛ ... سم
ردمك: ٠ - ٣٥٢ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١ - القرآن - التفسير الحديث أ - العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٣٠/٦٦٥٣

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٦٦٥٣
ردمك: ٠ - ٣٥٢ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم للنشر

جدة - هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١
الدمام - هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١
بريدة - هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
خميس مشيط - هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

www.dar-alqassem.com
sales@dar-alqassem.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن من أجَّل العلوم قدراً، وأرفعها ذكراً، العلم المتعلق بأشرف الكلام وأجله وأسماه، كلام الله ـ جل في علاه ـ وهو علم التفسير، إذ أن المشتغل به آخذ بروح التلاوة ولبها، ومقصودها الأعظم ومطلوبها الأهم، الذي تشرح به الصدور، وتستنير بضيائه القلوب، وهو التدبر، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

كما أن في الاشتغال به تحصيلاً لمنافع الدنيا والآخرة؛ لأنه المصدر الأول لها، ولذلك كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يحرصون كل الحرص على الجمع بين حفظ القرآن وفهمه. روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل.

ومن خلال فهم معاني القرآن وتدبره يحصل التلذذ به، وتقوى الرغبة في المداومة مع التعبد لله ـ تعالى ـ بتلاوته، ولذا يقول الطبري في مقدمة تفسيره: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يتلذذ بقراءته».

وأحب الخلق إلى الله ـ تعالى ـ أعلمهم بما أَنْزِل، كما أورد ذلك القرطبي عن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ.

ورغبة في تحصيل هذه الفضائل وغيرها مما يطول المقام عن استقصائها، ورغبة في إهداء الناس عامة شيئاً من الكنوز العظيمة واللآلئ والدرر التي يحويها كتاب الله؛ كان هذا التفسير المختصر الميسر لآخر جزء في كتاب الله ـ تعالى ـ وهو جزء عم، وذلك لكثرة قراءته وترداده بين الناس في الصلاة وغيرها، وقد جعلته على نسق واحد، وجمعت فيه بين أقوال المفسرين.

وإنا لنأمل أن نكون ـ جميعاً ـ من خلال هذا التفسير كصاحب المصباح الذي يُقصي ظلمة الجهل عن قارئ كلام الله ـ جل وعلا ـ. نقل القرطبي في تفسيره عن إياس بن معاوية أنه قال: «مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة، ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب».

أسأل الله ـ جل في علاه ـ أن ينفعنا بما نقرأ، وأن يجعل أعمالنا صواباً خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

د. عبدالملك بن محمد عبدالرحمن القاسم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

※ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ .

سورة الفاتحة سميت بذلك لأنه أُفتتح بها القرآن الكريم؛ وهي سورة مكية، وقد قيل: إنها أول سورة نزلت كاملة.

تشتمل هذه السورة العظيمة على مجمل معاني القرآن في التوحيد، والأحكام، والجزاء، وطرق بني آدم، وغير ذلك؛ ولذلك سميت: «أم القرآن». وسميت «أم الكتاب»، «والسبع المثاني»، «وسورة الحمد»، «وسورة الصلاة»، «والواقية».

وهذه السورة لها مميزات تتميز بها عن غيرها؛ منها أنها ركن في الصلوات التي هي أفضل أركان الإسلام بعد الشهادتين: فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب؛ قال ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» [رواه البخاري ومسلم].

ومنها أنها رقية: إذا قرئ بها على المريض شُفي بإذن الله؛ لأن النبي ﷺ قال للذي قرأ على اللديغ، فبرئ: «**وما يدريك أنها رقية..**» [رواه البخاري].

قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: ليست البسملة آية في بداية جميع السور، بل هي آية فاصلة بين كل سورتين، يستحب قراءتها إلا في سورة التوبة فيكره.

(※) جعلت الفاتحة في أول هذا التفسير لمكانتها وعظمها، وحاجة الأمة إلى معرفة معانيها وتدبرها.

﴿ بِسْمِ﴾ ابدأ باسم الله، استعانة على الأداء والتوفيق.

﴿ ٱللَّهِ﴾ : اسم الله رب العالمين لا يسمى به غيره؛ والله: هو المألوه المعبود، وهو أصل الأسماء؛ ولهذا تأتي الأسماء تابعة له.

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ اسم دال على أنه ـ تعالى ـ ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء؛ ولهذا جاء على وزن «فَعْلان» الذي يدل على السعة.

﴿ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: الموصل للرحمة من يشاء من عباده؛ ولهذا جاءت على وزن «فعيل» الدال على وقوع الفعل. فهنا رحمة هي صفته، ـ دل عليها ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ ، ورحمة هي فعله ـ أي إيصال الرحمة إلى المرحوم ـ دلّ عليها ﴿ ٱلرَّحِيمِ﴾ .

و﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ : اسمان من أسماء الله يدلان على الذات، وعلى صفة الرحمة.

والرحمة التي أثبتها الله لنفسه رحمة حقيقية دل عليها السمع، والعقل؛ أما السمع فهو ما جاء في الكتاب والسنة من إثبات الرحمة لله ـ وهو كثير جداً ـ وأما العقل: فكل ما حصل من نعمة، أو اندفع من نقمة فهو من آثار رحمة الله.

والرحمن والرحيم: اسمان كل منهما دال على صفة حقيقة لله على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهكذا يقال في جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى، وهي: اسم الله والرب والرحمن.

وفي البسملة خلاف بين العلماء؛ فمنهم من يقول: إنها آية من الفاتحة، ويقرأ بها جهراً في الصلاة الجهرية، ويرى أنها لا تصح إلا بقراءة البسملة؛

لأنها من الفاتحة. ومنهم من يقول: إنها ليست من الفاتحة؛ ولكنها آية مستقلة من كتاب الله، وهذا القول هو الحق.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ هو الثناء على الله بصفات الكمال، وهو وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم؛ ولابد من قيد وهو «المحبة، والتعظيم»؛ قال أهل العلم: «لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولاتعظيم: لا يسمى حمداً؛ وإنما يسمى مدحاً»، والحمد: هو الثناء باللسان، أما الشكر فيكون باللسان والقلب والأعضاء، ولا يكون الشكر إلا مقابل نعمة، أما الحمد فيكون لكمال المحمود ولو في غير مقابلة نعمة، والله ـ تعالى ـ له الحمد والشكر.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الرب: اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ، ولا يقال في غيره إلا مضافاً، كقولك: هذا الرجل رب المنزل.

والعالمون: جمع العالم، وهو كل موجود سوى الله ـ تعالى ـ.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾: المالك صفة لفعله ـ جل جلاله ـ، ويوم الدين يوم الجزاء والحساب، وهو ـ سبحانه ـ مالك يوم الدين والدنيا، لكن ظهور ملكوته وملكه وسلطانه إنما يكون في ذلك اليوم.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: أي: نخصك وحدك بالعبادة، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

ونخصك أيضاً بالاستعانة؛ والاستعانة: هي الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

والمعنى: لا نعبد غيرك ولا نستعينه، وذكر ـ سبحانه ـ «الاستعانة» بعد «العبادة» مع دخولها فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله ـ تعالى ـ فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي؛ لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، فلا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ـ عز وجل ـ، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾: أي: دُلَّنا وأرشدنا ووفقنا للصراط المستقيم وهو الإسلام، وثبتنا عليه حتى نلقاك.

والهداية على نوعين، هداية طريق وهداية توفيق، و هداية التوفيق خاصة بالله ـ تعالى ـ ومنها قوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]. وهداية الطريق: هداية دلالة وإرشاد، وهي للأنبياء وأتباعهم من العلماء والدعاة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، الموصل إلى جنته ورضوانه، وهو الإسلام، وسمي صراطاً مستقيماً لأنه طريق واسع سهل يوصل إلى المقصود.

فنحن ندعو الله ـ عز وجل ـ أن يوفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم الموصل إلى جنته، وندعوه أن يوفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته، فالمعرفة والاستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله ورعايته ورحمته، والتوجه إلى الله في هذا الأمر هو ثمرة الاعتقاد بأنه وحده المعين.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهؤلاء هم القدوة لنا في حياتنا.

وفي الآية توسل إلى الله بنعمه، وإحسانه إلى من أنعم عليه بالهداية؛ أي قد أنعمت بالهداية على من هديت، وكان ذلك نعمة منك. فاجعل لي نصيباً من هذه النعمة، واجعلني واحداً من هؤلاء المنعم عليهم. فهو توسل إلى الله بإحسانه.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

﴿غَيْرِ﴾ أي: غير صراط.

﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ المغضوب عليهم هم اليهود، فهم علموا الحق فتركوه، وحادوا عنه على علم؛ فاستحقوا غضب الله.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ هم النصارى، وهم الذين حادوا عن الحق جهلاً فكانوا على ضلال مبين.

ومعنى آمين: اللهم استجب لنا، وليست آية من سورة الفاتحة. وفي الحديث عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال أحدكم: آمين، وقالت الملائكة في السماء: آمين فوافقت إحدهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه**» [رواه البخاري].

وهذه السورة العظيمة على إيجازها احتوت على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وتوحيد إلهية، وهو إفراد الله بالعبادة وحده، من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد دل عليه لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾.

وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ وإثبات الجزاء والبعث في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وتضمنت إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وأول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة.

وقد ورد في فضل هذه السورة العظيمة حديث عظيم رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله ـ عز وجل ـ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ **قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾ **قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝﴾ **قال: مجدني عبدي ـ وقال مرة: فوض إليّ عبدي ـ، فإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل: فإذا قال:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**».

تفسير سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ۝ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ۝ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ۝ ﴾.

سورة عم سورة مكية، وتسمى سورة النبأ، يذكر الله ـ عز وجل ـ فيها البعث والجزاء والحساب، ويعدد فيها بعض نعمه وآلائه، وأنه الخالق المنعم المستحق للعبادة، الذي أوجد من العدم، وخلق الخلق لعبادته وطاعته، وفيها من البيان ما يقول للعباد: استعدوا، استيقظوا، تفكروا، تدبروا..

هناك بعث ونشور وحساب وأجور، وعقاب وحسرات، قال تعالى:

* ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾.

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ ﴾ استفهام إنكاري، عن أي شيء يتساءل كفار قريش من أمر القيامة أو البعث. فإنه لما بُعث رسول الله ﷺ وأخبر بتوحيد الله والبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن، تساءل المشركون، فأنزل الله، يعني عم يتساءل هؤلاء المكذبون بالقرآن وغيره، ثم أجاب الله ـ عز وجل ـ عن هذا السؤال فقال:

﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ ﴾.

﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ﴾ هذا النبأ هو ما جاء به النبي ﷺ من البينات والهدى، ولا سيما ماجاء به من الأخبار عن اليوم الآخر والبعث والجزاء.

﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ ﴾ يعني الناس فيه على قولين: فمنهم مصدق، ومنهم مكذب، وطال نزاعهم فيه.

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ كلمة ردع وزجر، بمعنى ليس الأمر كما قالوا.

﴿ سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ بين الله أن هؤلاء الذين كذبوا سيعلمون ما كذبوا به علم اليقين، وذلك إذا رأوا يوم القيامة ونزل بهم العذاب.

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ للمبالغة في التأكيد والتشديد، وسوف يتأكد لهم صدق ما جاء به محمد ﷺ من القرآن والبعث، وهذا تهديد ووعيد لهم.

* ثم بين ـ تعالى ـ قدرته العظيمة على خلقه، وذكر بعض نعمه على عباده ليقرر هذه النعم فيلزمهم شكرها، وهي أمور محسوسة ملموسة يتبين فيها قدرة الله ـ عز وجل ـ وعظيم صنعه التي لو فكر فيها الكفار، لما وقع منهم اختلافٌ في النبأ العظيم الذي جاءهم من عند الله، فقال سبحانه:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴾ أي: جعل الله الأرض ممهدة للخلق معدة للحياة، ليست بالصلبة التي لا يستطيعون حرثها ولا المشي عليها إلا بصعوبة، وليست باللينة الرخوة التي لا ينتفعون بها، ولا يستقرون عليها، ولكنها ممهدة لهم على حسب مصالحهم وعلى حسب ما ينتفعون به.

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أي: جعلها الله ـ تعالى ـ أوتاداً للأرض بمنزلة الوتد للخيمة حيث يثبتها فتثبت به ولا تضطرب.

﴿ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أي: أصنافاً ما بين ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وأسود وأحمر، وشقي وسعيد إلى غير ذلك مما يختلف الناس فيه، فهم أزواج مختلفون على حسب ما أراده الله ـ عز وجل ـ واقتضته حكمته ليعتبر الناس بقدرة الله ـ تعالى ـ، وأنه قادر على أن يجعل هذا البشر الذين خلقوا من مادة واحدة ومن أب واحد على هذه الأصناف المتنوعة المتباينة.

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ أي: جعل الله ـ عز وجل ـ النوم راحة لأبدانكم، قاطعاً للتعب والأشغال.

والسبت القطع، فالنوم يقطع ما سبقه من التعب، وهذا من النعمة وهو أيضاً من آيات الله، كما قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾ أي: جعل الله هذا الليل الذي يغشى ظلامه وسواده على الأرض، بمنزلة اللباس، كأن الأرض تلبسه ويكون جلباباً لها.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ أي: جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس فيه من طلب الرزق وتحصيل الأقوات.

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ وهي السماوات السبع، وصفها الله ـ تعالى ـ بالشداد لأنها محكمة البناء في غاية القوة والصلابة، متينة في إحكامها وإتقانها، لا تتأثر بمرور العصور والأزمان.

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾ يعني بذلك الشمس فهي سراج مضيء، وهي أيضاً ذات حرارة عظيمة.

﴿ وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾ أي: وقّادة، والوهج يجمع النور والحرارة.

وتستمر الآيات في ذكر نعم الله ـ عز وجل ـ وقدرته على الخلق يشاهدها الناس ويرونها؛ فقال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾ يعني: من السحاب، ووصف الله السحاب بأنه معصرات كأنما تعصر هذا المطر عند نزوله عصراً، كما يعصر الثوب، فإن هذا الماء يتخلل هذا السحاب ويخرج منه كما يخرج الماء من الثوب المعصور.

وهو ـ سبحانه ـ الذي أنزل بقدرته من السحاب ماءً كثيراً متتابعاً تنبت به الأرض وتحيا به، فإذا انضاف ماء السماء إلى حرارة الشمس حصل في هذا إنضاج للثمار ونمو لها على أكمل ما يكون.

﴿ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ أي: مطراً منصباً بكثرة؛ كثير الثج: يعني الانهمار والتدفق بهذا الماء الذي أنزل من السماء إلى الأرض.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ أي: لنخرج، وننبت بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك الذي أنزل من السماء إلى الأرض.

﴿حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ فتنبت الأرض، ويخرج الله به من الحب بجميع أصنافه وأنواعه وما أشبه ذلك.

والحب ما يدخر للأناس والأنعام كالحنطة والشعير والذرة والأرز.

والنباتات ما تأكله الدواب، أي: خضراً يؤكل رطباً كالحشيش وغيره.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ أي: حدائق وبساتين ملتفاً بعضها إلى بعض، من كثرتها وحسنها وبهائها حتى إنها لتستر من فيها لكثرتها.

وقد ذكر ـ سبحانه ـ في الآيات السابقة جملة من النعم العظيمة المشاهدة المحسوسة التي امتن بها على عباده ليشكروه ويعبدوه وحده، ويستعينوا بنعمه على طاعته ومرضاته، وليوقنوا أن من أنعم بهذه النعم وهيأ الأسباب بقوته وحوله وطوله، قادر على بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء على أعمالهم، فإنه ـ عز وجل ـ بحكمته وعدله لم يخلقهم عبثاً ولا تركهم هملا وجعل لهم أجلاً ومرجعاً.

ثم ذكر ـ سبحانه ـ ما يجري في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام، والجزاء والحساب، ليكون الإنسان على بينة من أمره، وليعرف حاله ومصيره، وفي ذلك بيان وتوضيح لمن سأل عن النبأ العظيم، قال تعالى:

* ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾
وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾

وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ وهو يوم القيامة، وسمي يوم فصل لأن الله يفصل فيه بين العباد فيما شجر بينهم، وفيما كانوا يختلفون فيه.

﴿ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾ ﴾ أي: ميقاتاً للخلق وموعداً للجزاء، وموقوتاً لأجل معدود.

﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾.

﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ فِي ٱلصُّورِ ﴾ وهو البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل، ينفخ فيها نفختين: الأولى: يفزع الناس ثم يصعقون فيموتون، والثانية: يبعثون من قبورهم، وتعود إليهم أرواحهم.

﴿ فَتَأۡتُونَ ﴾ أي: فتحيون، فتأتون إلى موضع العرض والحساب والجزاء.

﴿ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾ أي: أمماً وجماعات متفرقة.

﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ ﴾ فتحت: انفرجت، فتكون أبواباً يشاهدها الناس بعد أن كانت سقفاً محفوظاً.

﴿ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ ﴾ تكون السماء في ذلك اليوم أبواباً مفتوحة، وطرقاً ومسالك لنزول الملائكة، وفي هذا دليل على كمال قدرة الله ـ عز وجل ـ أن هذه السبع الشداد يجعلها الله ـ تعالى ـ يوم القيامة كأن لم تكن، تكون أبواباً.

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: أن الجبال العظيمة الصماء تُدك فتكون كالرمل ثم تكون كالسراب تسير.

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ أي: مرصـــدة ومعـــدَّة للطاغـــين تنتظر وتترقب نزلاءها الكفار، وجهنم اسم من أسماء النار التي لها أسماء كثيرة، وسميت بهذا الاسم، لأنها ذات جُهمة وظلمة بسوادها وقعرها.

﴿ لِلطَّاغِينَ ﴾ أي: للمردة والعصاة المخالفين للرسول.

﴿ مَآبًا ﴾ مرجعاً ومنقلباً ومصيراً.

﴿ لَابِثِينَ فِيهَا ﴾ أي: باقين في جهنم.

﴿ أَحْقَابًا ﴾ وهـــي جمع حقب، وهو المـــدة من الزمان؛ أي: مدداً طويلة.

ثم ذكر الله ـ عز وجل ـ بعضاً من أحوالهم وشـــقاءهم في هذه النار، وما يجدونه من أنواع العذاب وأصنافه، فقال سبحانه:

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ أي: لا يجـــدون فـــي جهنـــم برداً لقلوبهم، ولا شراباً طيباً يتغذون به.

﴿ إِلَّا حَمِيمًا ﴾ ليـــس لهـــم إلا هذا الحميم، وهو المـــاء الحار المنتهي في الحرارة الذي يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء.

﴿ وَغَسَّاقًا ﴾ الغساق هو شراب منتن الرائحة، شديد البرودة، فيُجمع لهم ـ والعياذ بالله ـ بين الماء الحار الشـــديد الحرارة، والماء البارد الشـــديد البرودة ليذوقوا العذاب من الناحيتين.

وقيل: إن المراد بالغســـاق صديد أهل النار، وما يخرج من أجوافهم من النتن والعرق وغير ذلك.

﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ أي: يجزون بذلك جزاءً موافقاً لأعمالهم من غير أن يُظلموا، فذكر انحرافهم في العقيدة وانحرافهم في القول.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾ أي: لا يؤملون أن يحاسبوا، ولا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له، بل ينكرون البعث الحساب.

﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾ كذبوا بما جاءت به الرسل من البينات والهدى والبعث والنشور.

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ ﴾ يشمل ما يفعله الله ـ عز وجل ـ من الخلق والتدبير في الكون، ويشمل ما يعمله العباد من أقوال وأفعال، ويشمل كل صغير وكبير.

﴿ أَحْصَيْنَـٰهُ ﴾ أي: ضبطناه بالإحصاء الدقيق الذي لا يختلف.

﴿ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ يعني: كتباً، وقيل: كتبناه في اللوح المحفوظ.

﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: يقال لأهل النار للإهانة والتوبيخ: ذوقوا ما أنتم فيه، فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه، وآخر من شكله أزاوج، فهم في مزيد من العذاب أبداً.

وفيما ذكره الله ـ عز جل ـ عن حال أهل النار من التخويف والتحذير ما يكون رادعاً وحاجزاً عن المعاصي والآثام.

ثم لما ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ ما أعده لأهل النار من العذاب، انتقل من ذكر حال الطغاة إلى حال التقاة، فذكر حال المؤمنين وما هم فيه من النعيم، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ المتقون هم الذين اتقوا عقاب الله، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

﴿مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ المفاز هو مكان الفوز وزمان الفوز أيضاً، فهم فائزون في أمكنتهم، وفائزون في أيامهم.

ثم بيّن ـ تعالى ـ شيئاً من هذا الفوز وهذا النعيم، فقال:

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾﴾.

﴿حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة أي: بساتين أشجارها عظيمة وكثيرة ومنوعة من النخيل وغيرها.

﴿وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ الأعناب جمع عنب، وهي من جملة الحدائق، لكنه خصها بالذكر لشرفها.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ الكواعب جمع كاعب وهي الفتاة التي تبين وبرز ثديها ولم يتدل، بل برز وظهر كالكعب، وهذا أكمل ما يكون في جمال الصدر.

﴿أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: على سن واحدة لا تختلف إحداهن عن الأخرى كبراً كما في نساء الدنيا.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ أي: كأساً ممتلئة، والمراد بالكأس هنا كأس الخمر، وخمر الآخرة غير خمر الدنيا.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ لا يسمعون في الجنة لغواً، أي كلاماً باطلاً لا خير فيه، بل يقال لهم: سلاماً سلاماً.

﴿وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ أي: ولا كذباً، فلا يكذبون، ولا يُكذب بعضهم بعضاً؛ لأنهم على سرر متقابلين قد نزع الله ما في صدورهم من غل وجعلهم أخواناً.

وكل ما نالهم من النعيم والخير المقيم إنما هو تفضل من ربهم ـ عز وجل ـ وثواباً على أعمالهم الصالحة فإن ما هم فيه إنما هو:

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: أنهم يجزون بهذا جزاء من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا واتقوا بها محارم الله.

﴿ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ أي: كافياً وافياً شاملاً كثيراً بسبب أعمالهم التي وفقهم الله لها، وجعلها ثمناً لجنته ونعيمها.

* ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾.

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يخبر ـ سبحانه ـ عن عظمته وجلاله وأنه هو رب كل شيء. فهو رب السماوات السبع الطباق الذي خلقها ودبرها وأحكم صنعها، ورب الأرض، وهي سبع كما ثبت ذلك في السنة، وهو الذي أنعم على عباده بالنعم العظيمة، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء.

﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي: ما بين السماوات والأرض من المخلوقات العظيمة، كالغيوم والسحب والأفلاك وغيرها مما نعلمه، ومما لا يعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ عطف بيان، وهو ذو الرحمة الواسعة الشاملة.

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ يعني: أن الناس لا يملكون الخطاب من الله، ولا يستطيع أحد أن يتكلم إلا بإذن الله، وذلك.

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وهو جبريل.

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ أي: صفوفاً، صفّاً بعد صف.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: لا يتكلمون ملائكة ولا غيرهم.

﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بالكلام، فإنه يتكلم كما أُذن له.

﴿وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ أي: قال قولاً صواباً، موافقاً لمرضاة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وذلك بالشفاعة، إذا أذن الله لأحد أن يشفع، شفع فيما أذن له فيه على حسب ما أُذن له، فلا يتكلم أحد في ذلك الموقف العظيم إلا بهذين الشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صواباً.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ذلك الذي أخبرناكم عنه، هو اليوم الحق الذي لا يروج فيه الباطل ولا ينفع فيه الكذب.

ثم لما رغب ـ عز وجل ـ ورهب، وبشر وأنذر، قال سبحانه:

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ أي: من شاء عمل عملاً يؤوب به إلى الله، ويرجع به إليه.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: خوفناكم وحذرناكم من عذاب قريب، وهو يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: كل امرئ ينظر ما قدمت يداه، أي ما عمل في الدنيا.

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى﴾ أي: ليتني لم أخلق، أو ليتني لم أبعث، وذلك تحسراً وندامة.

﴿كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾ أي: يود الكافر أنه كان في الدنيا تراباً فلم يخلق ولم يبعث ويحاسب ويعاقب.

وفي تلك الآيات من ذكر العذاب للكفار والعصاة، ومن النعيم للمؤمنين مـا يُخوف ويحذر من عذاب الآخرة، وما يجعل المسلم يرجو رحمة ربه بالعمل الصالح الخالص لوجهه الموافق لسنة نبيه، فإن المرء ينظر يوم الجزاء والحساب ما قدمت يداه من أعمال عملها في حياته، ويفرح المؤمن بما وعده الله من النعيم، ويتمنى الكافر حين يرى العذاب وهوله وشدته أنه كان تراباً.

تفسير سورة النازعات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا (1) وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا (2) وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا (3)
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا (4) فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا (5) يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (6) تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ
(7) قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ (8) أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ (9) يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ
(10) أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ (11) قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ (12) فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ
(13) فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ (14) هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (15) إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ
ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى (16) ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (17) فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ
(18) وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ (19) فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ (20) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (21)
ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ (22) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (23) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ (24) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ
ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ (25) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ (26) ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ
بَنَىٰهَا (27) رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا (28) وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا (29) وَٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ (30) أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا (31) وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا (32) مَتَٰعٗا
لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ (33) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ (34) يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ
(35) وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (36) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (37) وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (38) فَإِنَّ
ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (39) وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ (40) فَإِنَّ
ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (41) يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا (42) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ
(43) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ (44) إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا (45) كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ
إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا (46) ﴾.

ســـورة النازعات سورة مكية، نزلت في مكة، تُعنى بأصول العقيدة من الوحدانية والرسالة، والبعث والجزاء، فإنه ـ سبحانه ـ خلق الخلق، وبعث لهم الرســـل، وأنزل عليهـــم الكتب، ليبينوا لهم الطريـــق الحق والصراط

المستقيم، وليحذروهم من الشرك والطغيان والعصيان، ومن تمام عدل الله ـ عز وجل ـ أن جعل بعد دار الدنيا موعداً يلقى فيه كل إنسان جزاءه وفاقاً، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، وفي الآيات التالية يبين ـ سبحانه وتعالى ـ حال الكفار عند النفخ في الصور وبعث الناس من قبورهم في هذا اليوم العظيم، قال تعالى:

* ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ أقسم ـ سبحانه ـ بالملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار تنزعها.

﴿غَرۡقٗا ۝١﴾ أي: نزعاً شديداً.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ يعني: الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، تنشطها نشطاً: أي تسلها برفق وسهولة.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾ هي: الملائكة تسبح بأمر الله، أي تسرع فيه كما يسرع السابح في الماء.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾ أيضاً هي: الملائكة تسبق غيرها إلى أمر الله ـ عز وجل ـ، أو الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ وصف للملائكة؛ تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر الله.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ وهما النفختان في الصور،

النفخة الأولى: الراجفة ترجف الناس ويفزعون ثم يموتون عن آخرهم إلا من شاء الله، والنفخة الثانية التي تعقب الأولى هي: الرادفة يبعثون من قبورهم فيقوم الناس أحياء من قبورهم مرة واحدة، وهم في حالة شديدة من الاضطراب، بادية الذل، يجتمع عليها الخوف والانكسار، والرجفة والانهيار، قال تعالى:

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝﴾.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ﴾ هذه حال القلوب في ذلك الموقف العظيم.

﴿وَاجِفَةٌ ۝﴾ أي: فزعة مضطربة خائفة خوفاً شديداً، لما عاينت وأبصرت من أهوال يوم القيامة.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝﴾ يعني: أبصار أصحابها ذليلة حقيرة، لا تكاد تحدق أو تنظر بقوة من هول ما ترى، قد غضت أبصارهم لذلهم.

﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝﴾ هذا يقوله المنكرون للبعث إذا قيل لهم: إنكم تبعثون، يقولون: أنرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء بعد موتنا، وبعد كوننا في حفر القبور.

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝﴾ أي: كيف نبعث بعد أن كنا عظاماً بالية فتاتاً.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝﴾ قالوا: أي: منكرو البعث؛ استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم؛ إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا من الجزاء. يصيبنا مما يقوله محمد.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝﴾ أي: إنما هي صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية، زجرة من الله ـ عز وجل ـ يزجرون ويصاح بهم فيقومون من

قبورهم قيام رجل واحد على ظهر الأرض بعد أن كانوا في بطنها.

﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ أي: فإذا هم أحياء على وجه الأرض، والساهرة: أرض بيضاء يأتي بها الله ـ سبحانه ـ فيحاسب عليها الخلائق.

* ثم لما ذكر الله ـ عز وجل ـ أحوال الكفار وما يصيبهم في ذلك اليوم، ساق قصة موسى ـ عليه السلام ـ وما أمره الله ـ عز وجل ـ به من القيام بتبليغ الرسالة والدعوة إليه، وذكر ـ جل وعلا ـ ما وجده موسى من فرعون وتكذيبه؛ مع ما أظهر من الآيات الباهرات والمعجزات الواضحات، إلا أنه طغى وتجبر، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، عبرة له، وموعظة لغيره، وفي ذكر مثل هذه الوقائع والأحداث تخويف لمن كفر برسالة محمد ﷺ، وتسليه لنبيه بأن طريق الدعوة شاق يحتاج إلى صبر وتوكل على الله ـ عز وجل ـ، قال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝ ﴾.

قال ـ تعالى ـ مبيناً ما جرى للأمم قبل محمد ﷺ.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ ﴾.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ ﴾ أسلوب تشويق وترغيب لسماع القصة، والخطاب للنبي ﷺ أو لكل من يتأتى خطابه ويصح توجيه الخطاب إليه، أي: هل سمعت يا محمد بخبره وما جرى له.

﴿ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ ﴾ وهو ابن عمران ـ عليه الصلاة والسلام ـ أفضل أنبياء بني إسرائيل، وهو أحد أولي العزم الخمسة الذين هم: محمد ﷺ،

وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ ناداه الله ـ عز وجل ـ نداءً سمعه بصوت الله ـ عز وجل ـ.

﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ الوادي هو مجرى الماء، وطوى هو الوادي المطهر عند جبل الطور في سيناء الذي كلم الله موسى عنده وامتن عليه بالرسالة واختصه بالوحي.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ناداه وأمره الله ـ عز وجل ـ أن يذهب إلى فرعون ملك مصر، وكان يقول لقومه إنه ربهم الأعلى.

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي: زاد على حده، وتجبر، وتمرد، وعتا.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ الاستفهام هنا للتشويق، وتشويق فرعون أن يتزكى مما هو عليه من الشر والفساد، وأصل الزكاة النمو والزيادة.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: أدلك إلى عبادة ربك، وإلى دين الله ـ عز وجل ـ، وإلى توحيده، وعبادته، ومرضاته.

﴿فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ أي: فتخاف الله ـ عز وجل ـ على علم منك فيصير قلبك خاضعاً له، مطيعاً خاشعاً؛ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة، ولكن فرعون امتنع مما دعاه إليه موسى، والفاء لترتيب الخشية على الهداية؛ لأن الخشية لا تكون إلا من مهتد راشد.

وفي الآيات السابقة من الفوائد: أن الله ـ عز وجل ـ أمر موسى ـ عليه السلام ـ بمخاطبة فرعون بالخطاب اللين، فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعاً وعقلاً وعرفاً، وموسى ـ عليه السلام ـ امتثل لما أُمر به، فقال لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾

فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض، لا مخرج الأمر، وقال: ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ ولم يقل: إلى أن أزكيك، فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون غيره لما فيه من البركة والخير والنماء، ثم قال:

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أكون كالدليل بين يديك الذي يسير أمامك.

ثم ذكر الله ـ عز وجل ـ مع هذه الدعوة الرفيعة أنه أراه المعجزات الباهرات والآيات العظيمات، فقال تعالى:

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ في الكلام محذوف، أي: فذهب موسى إليه ودعاه وكلمه، فلما امتنع أرى موسى فرعون الآية الكبرى، أي العظمى. والآية أن معه عصاً من خشب من فروع الشجر، فكان إذا وضعها في الأرض صارت حية تسعى ثم يحملها فتعود عصا.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ كذب الخبر، وعصى الأمر.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ أي: تولى مدبراً، يسعى حثيثاً في الكيد، والمحاولة، ومبارزة الحق ومحاربته.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ حشر الناس أي: جمعهم ونادى فيهم بصوت مرتفع ليكون ذلك أبلغ في نهيهم عما يريد منهم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ يعني: لا أحد فوقي، فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفهم.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ أخذه الله ـ تعالى ـ أخذ عزيز مقتدر جزاء إعراضه عن الحق.

﴿نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ أي: أخذه الله فنكّل به نكال الآخرة وهو عذاب النار، ونكال الأولى وهو عذاب الدنيا بالغرق.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾ أي: فيما جرى من إرسال موسى إلى فرعون ومحاورته إياه، واستهتار فرعون به، واستكباره عن الانقياد، في ذلك كله عبرة.

﴿لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ أي: أن هذه العبرة والموعظة ينتفع بها من يخشى الله ـ عز وجل ـ ويخافه.

* ثم لما انتهى الحديث عن قصة الطاغية فرعون رجع إلى منكري البعث من كفار قريش، ومع علم المشركين بأن الله هو خالق السموات والأرض، الرزاق المحيي والمميت إلا أنهم ينكرون البعث بعد الموت بعد أن تحولت أجسادهم إلى عظام بالية؛ فرد ـ سبحانه ـ عليهم بأن الذي خلق السموات والأرض مع عظمتها لن يعجزه بعث الإنسان ذي الجرم الصغير، فإنه لا شيء في حجمه مقارنة بالسموات والأرض، وفي هذا تقرير لهم بوجوب الإيمان بالبعث بعد الموت، وبين كيفية خلقه للسماء بجمل متعاقبة، فقال سبحانه:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ﴾ هذا الاستفهام لتقرير إمكان البعث؛ لأن المشركين كذبوا النبي ﷺ بالبعث، أي: أأنتم أيها البشر؛ أخلقكم بعد الموت وبعثكم أشد في تقديركم، أم خلق السماء ذات الجرم العظيم والخلق القوي والارتفاع الباهر؟

﴿بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ أي: بناها الله ـ عز وجل ـ وشيدها عالية رفيعة.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ سُمك كل شيء: قامته وارتفاعه، رفعه يعني عن الأرض، ورفعه ـ عز وجل ـ بغير عمد، فجعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء.

﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ أي: جعلها مستوية تامة كاملة محكمة.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلم ليلها فأصبح لا يرى إلا الظلام الأسود الحالك.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ أي: أبرز نهارها المضيء بإضاءة الشمس، فسار الناس في مصالح دينهم ودنياهم ومعاشهم وأرزاقهم.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد خلق السماوات والأرض.

﴿دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ أي: بسط الأرض وأودع فيها منافعها.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾. أي: فجر من الأرض الأنهار والعيون، وأخرج منها مرعاها، أي: النبات الذي يرعى.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ أي: جعلها راسية ثابتة في الأرض.

﴿مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ أي: كل هذه النعم العظيمة جعلها لكم ولدوابكم وأنعامكم مُسخّرة مذللة، ينتفع الإنسان بليلها ونهارها وسهولها ومائها ونباتها؛ وكل تلك النعم إلى أجل، ثم تزول.

❊ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ أي: إذا جاءت القيامة الكبرى، والشدة العظمى، وسماها طامة لأنها داهية عظيمة تطم كل شيء سبقها.

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: يوم القيامة يتذكر حينئذ الإنسان ما سعى، أي: ما عمله في الدنيا، يتذكره مكتوباً بكتاب.

﴿ وَبُرِّزَتِ ﴾ أظهرت لأبصار الناظرين.

﴿ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ أي: النار لمن يبصر، تجيء تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام فيه سبعون ألف ملك يجرونها.

ثم ينقسم الناس بعد ذلك الهول العظيم والمشهد الفظيع إلى قسمين:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ أي: من تجاوز الحد، والطغيان هو مجاوزة الحد.

﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ ﴾ أي: قدمها على طاعة الله ـ عز وجل ـ فصار سعيه لها، ووقته مستغرقاً في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة وجزاءها، وهذان الوصفان هما وصفا أهل النار: مجاوزة الحد، وإيثار الدنيا وتقديمها على الآخرة، وهما متلازمان، فكل من طغى فقد آثر الحياة الدنيا، وكذلك العكس.

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ أي: هي مأواه ومصيره، ومقره ومسكنه.

ثم ذكر ـ سبحانه ـ من خاف ربه واتقاه وماله من الكرامة والمنزلة فقال:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ يعني: خاف القيام بين يديه ومجازاته بالعدل.

﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: زجرها عن هواها المخالف لأمر الله ورسوله.

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ ﴾ الجنة هي دار النعيم المشتملة على كل خير وسرور.

﴿ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ أي: مقره وسكنه، أعدها الله ـ عز وجل ـ لأوليائه ومن كان هذا وصفه منهم.

❊ ثم لما ذكر حال الناس في يوم القيامة، ذكر تساؤل الناس عن هذا اليوم العظيم ومتى يكون؟

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يعني يسألك الناس.

﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: عن القيامة استخفافاً.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝﴾ أي: متى وقوعها ووصولها؟ كرسو السفينة.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝﴾ يعني: أنه لا يمكن أن تذكر لهم متى الساعة؛ لأن علمها عند الله.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝﴾ منتهى علمها، فلا يعلمها غيره.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ يعني: ليس عندك علم منها ولكنك منذر ومخوف.

﴿مَن يَخْشَىٰهَا ۝﴾ أي: يخافها، وهم المؤمنون.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي: يرون القيامة.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝﴾.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم عشية.

﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ العشية: من الزوال إلى غروب الشمس.

﴿أَوْ ضُحَىٰهَا ۝﴾ الضحى من طلوع الشمس إلى زوالها، يعني كأنهم لم يلبثوا إلا نصف يوم.



تفسير سورة عبس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا
تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (١٤) بِأَيْدِى
سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن
نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ
أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا
ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨)
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا
جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ
(٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ
مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ
ٱلْفَجَرَةُ (٤٢)﴾.

سورة عبس، سورة مكية نزلت بمكة؛ فإن الله ـ عز وجل ـ لما بعث نبينا محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، وأمره بتبليغه ودعوة الناس إليه والقيام بأمره، صدع ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ بالدعوة ودعا الناس إلى الإسلام، وتحمل في سبيل ذلك الأذى والمشقة فصبر عليها، وفي بداية دعوته، ورغبة في تبليغ هذا الدين، حرص على دعوة كبراء القوم ورؤسائهم ومن له كلمة عندهم، طمعاً في إسلامهم وتأثر الناس بهم، فأعرض عن رجل أعمى فقير جاء إليه ليعلمه الدين، وظهرت الكراهة في

وجه النبي ﷺ حين سأله، ومع أن الأعمى لم يكن يرى عبوس النبي ﷺ وإعراضه، إلا أن الله ـ عز وجل ـ أنزل في ذلك آيات تتلى، حث ذكر الموقف وسطره في كتابه العظيم، قال تعالى:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝ ﴾.

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ ﴾ الضمير يعود إلى رسول الله ﷺ.

﴿ عَبَسَ ﴾ أي: كلح في وجهه وقطب؛ يعني استنكر الشيء بوجهه.

﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ ﴾ أي: أعرض في بدنه.

﴿ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ ﴾ الأعمى هو عبدالله بن عمرو ابن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ وسبب نزولها أنه جاء إلى النبي ﷺ قبل الهجرة وهو في مكة يسأل ويتعلم منه، وكان عنده قوم من عظماء قريش يطمع النبي ﷺ في إسلامهم، ـ ومن المعلوم أن العظماء والأشراف إذا أسلموا كان ذلك سبباً لإسلام من تحتهم، وكان طمع النبي ﷺ فيهم شديداً ـ، فجاء هذا الأعمى يسأل النبي ﷺ وذكروا أنه كان يقول: علمني مما علمك الله ويستقرئ النبي ﷺ ويلح عليه، فكان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعرض عنه، وعبس في وجهه، وأصغى إلى عظماء قريش رجاءً وطعماً في إسلامهم، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة كبراء القوم.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي: يا محمد أي شيء يريبك أن يتزكى هذا الرجل الأعمى ويقوى إيمانه.

﴿لَعَلَّهُۥ﴾ أي: لعل ابن أم مكتوم.

وقد جاءت الآية: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝﴾ بصيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب، وفي هذه أسلوب رفيع في تعلم الأدب وحسن المعاتبة، وهو تلطف في حق النبي ﷺ وإجلالا له، وفي الآيات بيان حقيقة هذه الدعوة وكرامتها وعظمتها واستغنائها عن كل أحد وعن كل سند! والعجب أن هذا في مكة، والدعوة مطاردة، والمسلمون قلة، ومع ذلك كانت المعاتبة للنبي ﷺ.

﴿يَزَّكَّىٰٓ ۝﴾ أي: يتطهر من الذنوب والأخلاق التي لا تليق بأمثاله، فإذا كان هذا هو المرجو منه فإنه أحق أن يلتفت إليه.

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝﴾ يعني: وما يدريك لعله يذكر، أي: يتعظ فتنفعه الموعظة، فإنه ـ رضي الله عنه ـ أرجى من هؤلاء أن يتعظ ويتذكر.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝﴾ أي: استغنى بماله لكثرته، واستغنى بجاهه لقوته عن الإيمان بالله، وهم العظماء الذين عند النبي ﷺ.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝﴾ أي: تتعرض وتطلب إقباله عليك وتُقبل عليه.

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝﴾ يعني: ليس عليك شيء إذا لم يتزكى هذا المستغني؛ لأنه ليس عليك إلا البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝﴾ أي: وصل إليك مسرعاً في المجيء، طالباً منك أن ترشده إلى الخير وتعظه بمواعظ الله.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝﴾ أي: يخاف الله ـ عز وجل ـ بقلبه لعلمه بعظمته ـ تعالى ـ.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝﴾ أي: تتلهى وتنشغل عنه برؤساء القوم لعلهم يهتدون.

﴿كَلَّآ﴾ يعني: لا تفعل مثل هذا، وهذه هي أول مرة يقال في القرآن للنبي ﷺ كلا.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝﴾ أي: الآيات القرآنية التي أنزلها الله على رسوله ﷺ، تذكر الإنسان بما ينفعه وتحثه عليه.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝﴾ أي: فمن شاء ذكر ما نزل من الموعظة فاتعظ وعمل به، ومن شاء لم يتعظ ولم يعمل.

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝﴾ أي: أن هذا الذكر الذي تضمنته هذه الآيات.

﴿فِى صُحُفٍ﴾ معظمة مكرمة عند الله، والصحف جمع صحائف، والصحائف جمع صحيفة، وهي ما يكتب فيه القول.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ رفيعة القدر والرتبة عند الله.

﴿مُّطَهَّرَةٍ ۝﴾ أي: منزهة لا يمسها إلا المطهرون، مصونة عن الشياطين والكفار.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝﴾ السفرة الكتبة، وهم الملائكة السفراء بين الله وبين عباده.

﴿كِرَامٍ﴾ أي: كرام على ربهم، كرام في أخلاقهم، كرام في خلقتهم لأنهم على أحسن خلقه، وعلى أحسن خُلق، كثيري الخير والبركة.

﴿بَرَرَةٍ ۝﴾ جمع بر، وهو كثير الفضل والإحسان.

ولما ذكر الله ـ عز وجل ـ في الآيات السابقة أنه جعل هذا القرآن العظيم محفوظاً ومنزهاً عن التحريف والتبديل، وأن السفراء في إيصال هذا الكتاب إلى الرسل الكرام الأقوياء الأتقياء ولم يجعل للشياطين عليهم سبيلاً، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول.

ذكر ـ سبحانه ـ بعد هذا البيان قبح جريمة الكافر وافراطه في الكفر والعصيان مع كثرة إحسان الله إليه، وبدأ بذكر ضعف الإنسان ومبدئه ومهانته، ليعرف قدره ويطيع ربه ويصرف العبادة لمستحقها، وأن لا يتكبر ويتجبر.

❊ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

﴿قُتِلَ﴾ أي: لعن، وأُهلك.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المراد بالإنسان هنا الكافر خاصة.

﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾. ﴿مَآ﴾ استفهامية أي: ما الذي أكفره وأهلكه، أو ما أشد كفره ومعاندته للحق؟

﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ استفهام تقرير لما يأتي بعده.

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ والنطفة هي في الأصل الماء القليل، والمراد به هنا ماء الرجل الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب يلقيه في رحم المرأة فتحمل، وهو ماء مهين، فكيف يتكبر؟

﴿ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ أي جعلـه مقدراً أطواراً: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، أو قدر أجله، ورزقه، وعمله، وشقياً أو سعيداً.

﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ . أي: سـهل خروجه من بطن أمه، أو يسر له الطريق إلي تحصيل الخير أو الشر.

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ ﴾ الموت مفارقة الروح للبدن.

﴿ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ أي: جعلـه فـي قبر، أي: مدفوناً سـتراً عليه وإكراماً واحتراماً.

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ ﴾ أي: إذا شاء الله ـ عز وجل ـ.

﴿ أَنشَرَهُۥ ﴾ أي: بعثه وأحياه يوم النشور ليجازيه على عمله.

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ .

﴿ كَلَّا ﴾ كلمـة ردع وزجر ﴿ لَمَّا ﴾ هنا بمعنى «لم» بل أخل به بعضهم بالكفر وبعضهم بالعصيان وما قضى ما أمره الله إلا القليل.

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ أي فلينظـر إلى طعامه من أين جاء؟ ومن جاء به؟ وهل أحدٌ خلقه سوى الله ـ عز وجل؟

❊ وبعد أن ذكر ـ سـبحانه ـ البعث والحسـاب والجزاء، أعاد الإنسان ليتذكـر ويتأمل فضـل الله عليه، وفي هذا إظهـار العظمة لله ـ عز وجل ـ وبيـان بعـض نعمه على عباده. وأنه المنعـم المتفضل، نعمه لا تعد ولا تحصى، ثم أرشد ـ سبحانه ـ الإنسان إلى النظر والتفكر في طعامه وكيف وصل إليه! وفي هذا استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاماً بالية وتراباً متمزقا، قال تعالى:

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ يعني: من السحاب، أنزلناه من السماء على الأرض.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ بعد نزول المطر عليها تتشقق بالنبات.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض.

﴿حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ كالبر والأرز والذرة والشعير وغير ذلك من الحبوب الكثيرة.

﴿وَعِنَبًا﴾ وهو معروف، وهو أدم وعصيره أدم.

﴿وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ قيل: إنه القت المعروف الذي تأكله الدواب.

﴿وَزَيْتُونًا﴾ الشجرة المعروفة.

﴿وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾﴾ النخل المعروف، يؤكل بلحاً وبسراً ورطباً وتمراً ونيئاً ومطبوخاً، ويعتصر منه رب وخل، وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ حدائق جمع حديقة، والغلب كثيرة الأشجار.

﴿وَفَٰكِهَةً﴾ يعني: ما يتفكه به الإنسان من أنواع الفواكه، كالتين والعنب والخوخ والرمان وغير ذلك.

﴿وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ الأب: الكلأ؛ نبات معروف عند العرب ترعاه الإبل.

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ يعني: أننا فعلنا ذلك متعة لكم، يقوم بها أودكم، وتتمتعون أيضاً بالتفكه بهذه النعم، وذلك مدعاة إلى النظر في هذا النعيم، وأنه من الواجب شكر المنعم، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره، ثم ذكر الله خاتمة المتاع.

* ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: صيحة يوم القيامة التي تصخ الآذان، أي: تصمها فلا تسمع، وهذا هو النفخ في الصور.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ في ذلك اليوم يفر من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، وأحبهم إليه، لهول ذلك اليوم، يفر من أخيه شقيقه، أو لأبيه أو لأمه.

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ الأم والأب المباشر، والأجداد أيضاً والجدات، يفر من هؤلاء كلهم.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته.

﴿وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ وهم أقرب الناس إليه وأحب الناس إليه، والفرار منهم لا يكون إلا لهول عظيم وخطب فظيع.

وقد بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ كل إنسان في ذلك اليوم مشتغل بنفسه لا ينظر إلى غيره، فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء، فأما السعداء فهم كما ذكر ـ سبحانه ـ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ من الإسفار وهو الوضوح؛ لأن وجوه المؤمنين تُسفر عما في قلوبهم من السرور والانشراح والبهجة مما عرفوا من نجاتهم وفوزهم بالنعيم.

﴿ضَاحِكَةٌ﴾ يعني متبسمة، وهذا من كمال سرورهم.
﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝﴾ أي: قد بشرت بالخير.
﴿وَوُجُوهٌ﴾ أي: وجوه الأشقياء، وهذا هو حال الفريق الثاني.
﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة.
﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝﴾ أي: شيء كالغبار؛ لأنها ذميمة قبيحة.
﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝﴾ أي: يغشاها ظلمة وسواد.
﴿أُوْلَـٰئِكَ﴾ الذين هذا وصفهم.
﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝﴾ أي: الذين جمعوا بين الكفر والفجور، والفجرة هم الفاسقون الكاذبون.

تفسير سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ .

سورة التكوير سورة مكية، نزلت في مكة، ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها آيات وعظات وعبراً، وجعل التفكير في عجائب صنعه وعظيم خلقه من العبادة العظيمة؛ فإنه ـ سبحانه ـ خلق هذا الكون العظيم بنظام دقيق متناسق لاخلل فيه ولا اضطراب، وذلك من أعظم آيات الله ـ عز وجل ـ وجعل لهذا النظام الدقيق والصنع البديع أجلاً ينتهي إليه حيث تتغير السموات والأرض وتفسد تلك الأجرام الهائلة، وتتغير بعض الكائنات وكل ذلك مؤذن ببدء حياة جديدة، هي اليوم الآخر، ذكرها ـ سبحانه ـ في هذه الآيات مبيناً لأهوال القيامة وما يكون فيها من الشدائد والكوارث، وما يعتري الكون والوجود من مظاهر التغيير والتخريب.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين، فليقرأ: «إذا الشمس كورت» و«إذا السماء انفطرات» و«إذا السماء أنشقت»** [رواه الترمذي].

* ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾.

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ ﴾ أي: جمعت ولُفَّت، وجعلت مثل شكل الكرة، وهذا يكون يوم القيامة.

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ ﴾ يعني: تساقطت من أفلاكها، وتناثرت، وقيل: طمس نورها.

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ ﴾ أي: أن هذه الجبال العظيمة الصلبة العالية الرفيعة تكون هباءً يوم القيامة، تزول عن أماكنها وتسيّر.

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ ﴾ العشار جمع عشراء، وهي الناقة الحامل التي تم لحملها عشر أشهر، وهي من أنفس الأموال عند العرب؛ لأنها مرجوة الولد واللبن، قريبة النفع.

﴿ عُطِّلَتْ ۝٤ ﴾ أي: تركت هملاً بلا راع مع نفاستها وعظم قدرها، وذلك لما شاهدوا من الهول العظيم.

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ الوحوش جمع وحش، والمراد بها جميع الدواب، بعثت وجمعت ليوم القيامة حتى يقتص لبعضها من بعض، وقيل: حشرها موتها.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ البحار جمع بحر، وجمعت لعظمتها وكثرتها، هذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة فإنها تُسجر، أي توقد ناراً، تشتعل ناراً عظيمة وحينئذ تيبس.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ النفوس جمع نفس، والمراد بها نفوس الناس كلها، فتزوّج النفوس يعني يُضم كل صنف إلى صنفه، وقال الحسن: ألحق كل امرئ بشيعته: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، والمنافقون بالمنافقين، ويلحق المؤمنون بالمؤمنين.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ الموؤدة: هي الأنثى تدفن حية تُسأل يوم القيامة سؤال تطييب لها وتبكيت لوائدها. وكانت العرب إذا ولدت لأحدهم بنت دفنها حية مخافة العار أو الفقر.

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ هل أذنبت؟ يوبخ قاتلها بسؤالها لأنها قتلت بغير ذنب فعلته.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ الصحف جمع صحيفة، وهي ما يكتب فيها الأعمال، تنشر وتفتح، وتعرض للحساب.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ هذه السماء العظيمة تكشط، يعني تُزال عن مكانها.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ﴾ الجحيم اسم من أسماء النار، وسميت بذلك لبعد قعرها وظلمة مرءاها.

﴿سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ أي: أوقد عليها فاستعرت، والتهبت التهاباً لم يكن لها قبل ذلك.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ﴾ الجنة دار المتقين.

﴿أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ يعني: قُرِّبت وزُيِّنت للمؤمنين.

قيل هذه الأمور الإثنا عشر: ست منها في الدنيا، وهي من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾، وست في الآخرة وهي: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ إلى هنا.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ أي: كل نفس تعلم في هذا اليوم الهائل ما معها وما لها وما عليها، تعلم كل نفس ما قدمته من خير وشر.

* ولما ذكر الله ـ عز وجل ـ هذه الأحوال العظيمة، والوقائع المتتالية الرهيبة، أقسم ـ عز وجل ـ بمخلوقاته على صدق رسوله ﷺ، وأن ما نزل عليه إنما هو من كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ وليس من كلام المخلوقين كما يدعي المشركون.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي: أقسم بالخنس.

﴿بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾ الخنس: جمع خانسة، وهي النجوم التي تخنس، أي ترجع، فبينما تراها في أعلى الأفق، إذا بها راجعة إلى آخر الأفق فهي تختفي في أول الليل، فلا تظهر إلا بعد الظلمة.

﴿ٱلْجَوَارِ﴾ النجوم التي تجري في أفلاكها.

﴿ٱلۡكُنَّسِ ١٦﴾ النجوم التي تدخل في النهار إذا طلع، كما يدخل الظبي في «كناسه» أي: بيته.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ أي: إذا أقبل بظلامه. وقيل: أدبر.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ أي: طلع وأقبل بروح ونسيم، وعَّم بنوره الأرض، فيكون الله أقسم بالليل حال إقباله، وبالنهار حال إقباله.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن.

﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ هو جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشرف الملائكة عند الله ـ تعالى ـ، نزل به من الله ـ تعالى ـ، ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة وأعظمهم رتبة عند ربه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وصفه الله ـ تعالى ـ بالقوة العظيمة والقدرة العالية.

﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: عند صاحب العرش وهو الله ـ جل وعلا ـ، والعرش فوق كل شيء، وفوق العرش رب العالمين ـ عز وجل ـ.

﴿مَكِينٖ ٢٠﴾ أي ذي مكانة، أي أن جبريل عند الله ذو مكانة رفيعة وشرف عظيم.

﴿مُّطَاعٖ﴾ أي: جبريل مطاع في الملأ الأعلى هناك بين الملائكة يرجعون إليه ويطيعونه.

﴿ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ وهو كذلك أمين على ما كُلف به من الوحي فلا يزيد ولا ينقص.

ولما ذكر الله ـ عز وجل ـ فضل الرسول الملكي جبريل الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن ودعا إليه الناس.

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: محمد رسول الله ﷺ، يعني ليس مجنوناً كما تزعمون يا أهل مكة، وذكر محمداً ﷺ بوصف الصحبة للإشعار بأنهم عالمون بأمره وبأنه أعقل الناس وأكملهم.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ ﴾ أي: رأى محمد ﷺ جبريل ـ عليه السلام ـ في صورته، له ستمائة جناح.

﴿ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأفق جانب السماء العظيم.

﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني: ما محمد ﷺ.

﴿ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ يعني: على القرآن والوحي الذي جاءه من عند الله.

﴿ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: ببخيل، لا يبخل بالوحي، ولا يقصر في التبليغ، بل يُعلم الخلق كلام الله وأحكامه.

* ولما ذكر ـ سبحانه ـ جلالة كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين اللذين وصل إلى الناس على أيديهما، وأثنى الله عليهما بما أثنى، دفع عن هذا الكتاب المنزل كل آفة ونقص مما يقدح في صدقه، فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي: ليس القرآن بقول أحد من الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب.

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ووضحت لكم.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي: القرآن، إلا موعظة وتذكير، والمراد ـ بالعالمين ـ من بُعث إليهم رسول الله ﷺ.

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾ لمن أراد منكم.

﴿أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ الاستقامة هي الاعتدال لا يميل يميناً ولا شمالاً، أن يستقيم على هدى الله في الطريق إليه، بعد هذا البيان، الذي يكشف كل شبهة، وينفي كل ريبة، ويسقط كل عذر.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني لا يمكن أن تشاؤا شيئاً ومنه الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا وقد شاءه الله من قبل وقدره.

﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ إشارة إلى عموم ربوبية الله.

تفسير سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ .

سورة الانفطار سورة مكية، ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها ما أكرم به الإنسان من النعم العظيمة والآلاء الجسيمة وعرفه نعمه عليه، ومع كثرة النعم وجزيل العطاء، ربما يحمل ذلك الإنسان على معصية الله ـ عز وجل ـ لما يراه من تتالي النعم وتوافر الخيرات، ولا يردعه عن ذلك مثل التذكير والاتعاظ ومعرفته بأن الأحوال تتغير، وأن الله لا يرضى أن تكون نعمه وسيلة لمقارفة المعاصي والآثام. وفي سورة الانفطار تحذير الإنسان من الاغترار بالنعم والتمادي في المعصية لأن أمامه يوم عظيم، وموقف عصيب، يجازى فيه الإنسان على ما قدم وأخر من الأعمال، وهو يوم القيامة، الذي ذكر الله بعضاً من صفاته وأحواله في هذه السورة:

* ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ

رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ يعني: تشققت لنزول الملائكة.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ يعني: النجوم صغيرها وكبيرها، تنتثر وتتفرق وتتساقط لأن العالم انتهى.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ أي: فُجر بعضها على بعض وملئت الأرض.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ أي: بحثرت وقلب ترابها، وأخرج ما فيها من الأموات، أحياء يسيرون ليوم عظيم.

ومع التبدل والتحول في هذا العالم ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفياً وتعلم كل نفس ما أحضرت. قال تعالى:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ علمت كل نفس ما قدمت وأخرت، وذلك بما يُعرض عليها من الكتاب، وعلمت ما قدمت من عمل خير أو شر.

* ثم تحدثت الآيات عن جحود الإنسان وكفرانه لنعم الله، وهو يتلقى فيوض النعمة منه ـ جل وعلا ـ، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها، ولا يعرف لربه قدره، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ المراد بالإنسان هنا الكافر، وقيل: الإنسان من حيث هو إنسان، وناداه ـ سبحانه ـ بصفة الإنسان لما أودع فيه من العقل وميزه به عن سائر المخلوقات.

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ يعني: أي شيء خدعك وسول لك حيث تكذب بالبعث، وتعصي الله في الأمر والنهي. وقيل أنه ـ سبحانه ـ ذكر

«الكريم» دون ســائر أســماته وصفاته لأنه لا ينبغي مقابلة الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ خلقــك من نطفة ولم تك شــيئاً، وأوجدك من العدم ولم تك شيئاً.

﴿ فَسَوَّىٰكَ﴾ أي: جعلك مستوي الخلقة تسمع وتبصر وتعقل.

﴿ فَعَدَلَكَ ۝﴾ أي: جعلك معتدل القامة حسن الصورة، وجعل أعضاءك متعادلة متناسبة.

﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝﴾ أي: الله ركبك في أي صورة شاء، وهذا من نعم الله على الإنسان أنه سوى خلقه وحسن صورته.

ومع هذا العطاء الجزيل والنعم المتتالية إلا أن هناك من يجحد هذه النعمة ويصرف العبادة لغير الله.

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝﴾.

﴿ كَلَّا ﴾: للردع والزجر عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة إلى الكفر به، يعني: مع هذا الخلق والإمداد والإعداد.

﴿ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝﴾ أي: لا تصدقون بالجزاء والحساب.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝﴾ أي: مــن الملائكــة يحفظــون ويكتبــون أعمالكم.

﴿ كِرَامًا﴾: على ربهم.

﴿ كَـٰتِبِينَ ۝﴾: يكتبون ويدونون أعمالكم.

﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ إما بالمشــاهدة إن كان فعلاً، وإما بالسماع إن كان قولاً، بل إن عمل القلب يطلعهم الله عليه فيكتبونه.

* ثم لما ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الآيات السابقة النعم العظيمة، ووجوب طاعة الله ومراقبته، وأن كل ما يعمله الإنسان محصيّ ومكتوب له أو عليه، ذكر منازل المطيعين ومنازل العاصين، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ هـذا بيان للنهاية والجزاء، والأبرار جمع بر وهم كثيرو فعل الخير والطاعات، المتباعدون عن الشـر، القائمون بحقوق الله وحقوق عباده.

﴿ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: نعيم في القلب، ونعيم في البدن.

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ ﴾ الفجـار: هم الكفار الذين كفـروا بربهم وقصروا في حقوق الله وحقوق عباده.

﴿ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ أي: في نار حامية.

﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يعني: يدخلونها ويحترقون بها.

﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: يوم الجزاء وذلك يوم القيامة.

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: لن يغيبوا عنها فيخرجوا منها.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ﴾ هذا الاستفهام للتفخيم والتعظيم.

﴿ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾ تأكيـد: أي: مـا أعلمـك ما يوم الحساب والجزاء وما فيه من أهوال وشدائد، ثم يأتي الجواب الواضح، يبين حال الإنسان وواقعه في ذلك اليوم.

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ يوم القيامة لا أحد يملك لأحد شيئاً، لا بجلب خير ولا بدفع ضرر إلا بإذن الله ـ عز وجل ـ.

﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ في الآخرة الأمر لله ـ عز وجل ـ ولا تملك نفس لنفس شيئاً إلا بإذن الله، والله ـ عز وجل ـ يتفرد به ـ سبحانه ـ، لا يُملك أحداً في ذلك اليوم شيئاً كما ملكهم في الدنيا، ولا يقهره قاهر ولا ينازعه أحد.

تفسير سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ويل للمطففين (١) الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون (٢) وإذا كالوهم
أو وزنوهم يخسرون (٣) ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليوم عظيم (٥) يوم يقوم
الناس لرب العالمين (٦) كلا إن كتاب الفجار لفي سجين (٧) وما أدراك ما سجين
(٨) كتاب مرقوم (٩) ويل يومئذ للمكذبين (١٠) الذين يكذبون بيوم الدين (١١) وما
يكذب به إلا كل معتد أثيم (١٢) إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين (١٣)
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١٤) كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
(١٥) ثم إنهم لصالوا الجحيم (١٦) ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون (١٧) كلا إن
كتاب الأبرار لفي عليين (١٨) وما أدراك ما عليون (١٩) كتاب مرقوم (٢٠) يشهده
المقربون (٢١) إن الأبرار لفي نعيم (٢٢) على الأرائك ينظرون (٢٣) تعرف في وجوههم
نضرة النعيم (٢٤) يسقون من رحيق مختوم (٢٥) ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون (٢٦) ومزاجه من تسنيم (٢٧) عينا يشرب بها المقربون (٢٨) إن
الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (٢٩) وإذا مروا بهم يتغامزون (٣٠)
وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين (٣١) وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون (٣٢)
وما أرسلوا عليهم حافظين (٣٣) فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (٣٤) على
الأرائك ينظرون (٣٥) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (٣٦)﴾.

ســــورة المطففين ســــورة مكية، فيها إقامة العدل ونشــــره، والتحذير من الظلم ونبذه، فالله ـ عز وجل ـ حكم عدل لا يرضى بالظلم، ولا يرضاه لعباده حتى في أقل الأمور وأصغرها شــــأناً، ولهذا ذكر التخويف والوعيد لمن فسدت أخلاقه ولم يراقب الله ـ عز وجل ـ وظلم الناس ولو بالقليل، ومن أولئك أصحاب الأموال، وأهل البيع والشــــراء، الذين يظلمون الناس

بغشهم وخداعهم، فهم يأخذون المال من الناس كاملاً، ويعطونهم أقل من حقهم من المُباع، فحذرهم وذكرهم بيوم القيامة حتى لا يتمادوا، ويتوبوا من تطفيف الكيل والميزان، وفي الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله سبحانه: «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل بعد ذلك» [رواه ابن ماجه].

* ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾.

﴿ وَيْلٌ ﴾ الويل: الهلاك، وهي كلمة وعيد وعذاب، يتوعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها من خالف أمره.

﴿ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ﴾ التطفيف: النقص من الكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً، والمطففين هم الذين يفعلون ذلك، وتُفسر الآيتان التاليتان معنى المطففين فهم:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ ﴾ أي: إذا اشترى الناس منهم ما يكال استوفوا منهم الحق كاملاً بدون نقص.

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ يعني: إذا كالوا للناس، أي: هم الذين باعوا الطعام كيلاً، فإنهم إذا كالوا للناس أو باعوا عليهم شيئاً وزناً إذا وزنوا أنقصوا.

﴿ يُخْسِرُونَ ۝ ﴾ ينقصون؛ فهؤلاء يستوفون حقهم كاملاً، وينقصون حق غيرهم، فجمعوا بين الأمرين، بين الشح والبخل.

ثم توعد ـ تعالى ـ المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال سبحانه:

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴾ يقـال لهم توبيخاً: ألا يتيقن هؤلاء ويعلمـوا علم اليقين، أنهم مبعوثـون: أي مخرجون من قبورهم لله رب العالمين فمسؤلون عما يفعلون ومجازون عليه.

﴿ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ عظيـم في قوله، في أهواله، فيما يحدث فيه، وهو يوم القيامة.

﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فـي هـذا اليوم العظيم يقوم الناس من قبورهم حفاة ليس عليهم نعال ولاخفاف؛ عراة ليس عليهم ثياب، ولا قُمص ولا سـراويل ولا أزر ولا أردية، وفي هذا الوعيد دلالة على عظم ذنب التطفيف ومزيد إثمه وفظاعة عقابه.

﴿ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وهو الله ـ جل وعلا ـ.

* ولما ذكر الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة وقيام الناس فيه لرب العالمين، وذكر مصير الناس فيه، وأنهم ينقسـمون إلى قسمين: فجار، وأبرار، ابتدأ بالفجار لدناءة أعمالهم وسوء مآلهم، فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴾.

﴿ كَلَّآ ﴾ كلمة ردع وزجر، أي: حقاً.

﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ ﴾ أي: أن الفجار ومنهم المطففون مكتوبون في.

﴿ سِجِّينٖ ﴾ أي: في سجل أهل النار، أو في حبس وضيق.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ ﴾ الاستفهام هنا للتعظيم، أي ما الذي أعلمك بسجين؟ وهل بحثت عنه؟ وهل سألت عنه حتى يبين لك؟

﴿ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ ﴾ مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا ينقص، ولا يبدل.

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ ويل كلمة عذاب وعقاب، ثم بين المكذبين بأنهم.

﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ ﴾ يكذبون بيوم الجزاء وهو يوم القيامة.

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ ﴾ أي: ما يكذب بيوم الدين وينكره.

﴿ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

﴿ مُعۡتَدٍ ﴾ في أفعاله.

﴿ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ في أقواله، وقيل: ﴿ مُعۡتَدٍ ﴾ في أفعاله ﴿ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ في كسبه، أي أن مآله إلى الإثم، والمعنيان متقاربان.

﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ يعني إذا تلاها عليه أحد، وهذا يدل على أن هذا الرجل لا يفكر أن يتلو آيات الله، ولكنها تتلى عليه، فإذا تليت عليه.

﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: هذا أساطير الأولين وأحاديثهم وأباطيلهم.

﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾.

﴿ كَلَّاۖ ﴾: للردع والزجر للمعتدي.

﴿ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ أي: اجتمع عليها وحجبها عن الحق.

﴿ مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ من الأعمال السيئات، كثرت عليهم السيئات فأحاطت بقلوبهم.

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ أي: حقّاً إنهم عن رؤية ربهم وخالقهـم لمحجوبـون، وذلك في يوم القيامة، فإنهـم يحجبون عن رؤية الله ـ عز وجل ـ كما حُجبوا عن رؤية شـريعته وآياته فرأوا أنها أسـاطير الأولين.

﴿ ثُمَّ إِنَّهُمۡ ﴾ أي: أن هؤلاء الفجار مع هذه العقوبة البليغة.

﴿ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ يصلون حرارتها أو عذابها.

﴿ ثُمَّ يُقَالُ ﴾ أي: يقول لهم خزنة النار، يقال تقريعاً لهم وتوبيخاً.

﴿ هَٰذَا ﴾: العقاب.

﴿ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: النار، فيجتمع عليهم العذاب البدني والألـم البدني بصلي النار، وكذلك العذاب القلبي بالتوبيخ والتنديم حيث يقال: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾.

* ولمـا ذكر الله ـ عـز وجـل ـ المآل الذي يؤول إليه الفجار ـ والعياذ بالله ـ، ذكر الأبرار ومنزلتهم وما أعده الله ـ عز وجل ـ لهم، فقال:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ ﴾.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ الأبـرار هم المؤمنون الصادقون العاملون بالبـر والتقوى، وكتاب الأبرار في عليين في أعلى الجنة، يوحي بالعلو والارتفاع.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي: ما الذي أعلمك يا محمد ما عليون؟ على جهة التفخيم والتعظيم.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ أي: أن كتاب الأبرار الذي فيه أسماؤهم كتاب مرقوم مكتوب لا يتغير ولا يتبدل.

﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ يشهده أي: يحضره.

﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله، هم الذين تقربوا إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بطاعته من الملائكة الكرام وأرواح الأنبياء، والصديقين والشهداء.

ثم يذكر ـ سبحانه وتعالى ـ حال الأبرار أنفسهم، أصحاب هذا الكتاب الكريم، ويصف ما هم فيه من نعيم في ذلك اليوم العظيم.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ الأبرار: جمع بر، والبر كثير الخير، كثير الطاعة.

﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ النعيم هنا يشمل نعيم البدن ونعيم القلب.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ الأرائك جمع أريكة، وهي السرير المزخرف المزيّن الذي وَضع عليه مثل الظل.

﴿يَنظُرُونَ﴾ يعني ينظرون إلى ما أنعم الله به عليهم من النعيم الذي لا تدركه الأنفس، وقيل: ينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامات وأعظمها النظر إلى وجهه الكريم.

﴿تَعۡرِفُ﴾ أي: تعرف أيها الناظر إليهم.

﴿فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة، لما تراه في وجوههم من النور والحسن.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾.

﴿يُسۡقَوۡنَ﴾ يعني: الأبرار، يسقيهم الله ـ عز وجل ـ بأيدي الخدم.

﴿مِن رَّحِيقٍ﴾ أي: من شراب خالص من الخمر لا شوب فيه ولا ضرر فيه على العقل.

﴿مَّخْتُومٍ ۝ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي: بقيته وآخره مسك، أي: طيّب الريح.

﴿وَفِى ذَٰلِكَ﴾ أي: وفي هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم.

﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ۝﴾ أي: وفي هذا الثواب والجزاء فليتسابق المتسابقون، سباقاً يصل بهم إلى حد النفس، والتنافس: التشاجر على الشيء والتنازع فيه، فيريده كل واحد لنفسه، ويضن به لعظم منزلتهم وما ينالهم من النعيم، عكس حال المطففين الذين يتنافسون على جمع حطام الدنيا من أوجه محرمة، ومن أكل أموال الناس بالباطل.

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: مزاج هذا الشراب الذي يُسقاه هؤلاء الأبرار.

﴿مِن تَسْنِيمٍ ۝﴾ أي: من عين رفيعة معنى وحسّاً.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝﴾ أي: أن هذه العين والمياه النابعة والأنهار الجارية يشرب منها ويروى بها المقربون.

* وبعد سياق هذا النعيم المقيم وما فيه من النعم والكرامة، يذكر الله ـ عز وجل ـ حال وموقف الفجار من المسلمين الذين يسخرون من الذين آمنوا في الدنيا، وختم بأن الجزاء من جنس العمل، حيث ذكر حال هؤلاء المجرمين المستهزئين في الدنيا بالمؤمنين، ثم ذكر حال المؤمنين يوم القيامة يتفرجون عليهم وهم يُعذبون، وفي تقديم النعيم والجزاء قبل ذكر الأذى والاستهزاء مدعاة إلى الصبر والتحمل، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ

هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ وهم الكفره، قاموا بالجرم وهو المعصية والمخالفة.

﴿كَانُواْ﴾ أي: في الدنيا.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ استهزاءً وسخرية واستصغاراً لهم.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ﴾ إذا مر المجرمون بالمؤمنين.

﴿يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يعني: يغمز بعضهم بعضاً، انظر إلى هؤلاء، سخرية واستهزاء واستصغاراً، وأنهم لضالون لإيمانهم بمحمد وتركهم شهوات الحياة.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾ إذا رجع وانصرف المجرمون إلى أهلهم وقد تهكموا واستهزءوا بالمؤمنين.

﴿فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ متفكهين معجبين بما نالوه من السخرية بهؤلاء المؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾ أي: رأى المجرمون المؤمنين.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ ضالون عن الصواب، متأخرون، متزمتون، متشددون، إلى غير ذلك من الألقاب التي تتكرر في كل زمان ومكان.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: أن هؤلاء المجرمين ما بعثوا حافظين لهؤلاء المؤمنين يرقبونهم ويحكمون عليهم، بل الحكم لله ـ عز وجل ـ.

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ اليوم يعني: يوم القيامة، أي فـــي هذا اليوم الذين آمنـــوا يضحكون من الكفار؛ لما وجدوا من النعيم وحسن الثواب على صبرهم.

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: أن المؤمنـــين على الأرائك في الجنة، والأرائك هي السرر الفخمة الحسنة، ينظرون ما أعد الله لهم من الثواب.

﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

﴿ ثُوِّبَ ﴾ أي: جوزي، و﴿ هَلْ ﴾ هنا للتقرير أي: أن الله ـ تعالى ـ قد عاقب الكفار وجازاهم جزاء فعلهم في الدنيا، فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال.

تفسير سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ
رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا
يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن
يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧
وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥ ﴾ .

سـورة الانشقاق سورة مكية، ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها أهوال وأحوال القيامـة وهي اليوم المهول الذي يجازى فيه العباد على أعمالهم، فإن الله ـ عز وجل ـ خلق الخلق لعبادته وطاعته وجعل لهم أمداً وأجلاً يرجعون إليه فيه، فيحاسـب المرء على ما قدم، إن خيراً فخيراً وإن شـراً فشراً، وذلك يوم القيامة حيث تقع فيه الأهوال العظيمة، كما ذكر الله ـ عز وجل ـ في وصفهـا، وهذه الآيات وأمثالهـا آيات دالة على ربوبية الله ـ عز وجل ـ، مستلزمة للعلم بصفات كماله، وعظيم قدرته، قال تعالى:

* ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ
رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝ ﴾.

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ ﴾ انشقت: انفتحت وانفرجت وتصدعت وتقطعت، وهذا من علامات القيامة.

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ أذنت: بمعنى استمعت، وأطاعت أمر ربها ـ عز وجل ـ.

﴿ وَحُقَّتْ ۝ ﴾ أي: حق لها أن تأذن، أي تسمع وتنقاد وتطيع.

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ ﴾ تأكيداً لاستماعها لربها، واستسلامها وطاعتها له.

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ ﴾ أي: بُسطت، ودكت جبالها حتى صارت قاعاً صفصفاً.

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ ﴾ أي: جثث بني آدم تلقيها يوم القيامة، وخلت الأرض غاية الخلو حتى لم يبق شيء في بطنها.

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ ﴾ أذنت: يعني استمعت وأطاعت لربها مثلما أطاعت السماء لربها وحقت.

ثم ذكر الله ـ عز وجل ـ حال الإنسان وأنه جاهدٌ ومجد في أعماله التي عاقبتها ونهايتها الموت، فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ المراد: جنس الإنسان الذي خلقه ربه بإحسان، وميزه بالعقل والإدراك.

﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ الكادح: هو الساعي بجد ونوع مشقة.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ يعني: أنك تكدح كدحاً يوصلك إلى ربك فإليه المرجع وإليه المآب.

﴿ فَمُلَٰقِيهِ ۝ ﴾ أي: فما أسرع أن تلاقي الله ـ عز وجل ـ، ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر.

* وقد ذكر الله عز وجل ـ بعد هذه الآيات العظيمة حال الناس بعد الحساب والجزاء، حيث ذكر أهل اليمين من يؤتى كتابه بيمينه، وأهل الشمال من يؤتى كتابه وراء ظهره، فقال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ ﴾ إي: من أعطي كتابه بيمينه وهو المؤمن.

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ﴾ أي: يحاسبه الله ـ تعالى ـ بإحصاء عمله عليه، لكنه حساب سهل يسير.

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ ﴾ ينقلب من الحساب إلى أهله من الزوجات والحور العين في الجنة، مسروراً مبتهجاً من الخير والكرامة.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ ﴾.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ ﴾ هؤلاء هم الأشقياء والعياذ بالله، يؤتى كتابه وراء ظهره وليس عن يمينه، لأن يمينه مغلولة إلى عنقه.

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝ ﴾ أي: إذا قرأ كتابه يدعو على نفسه بالثبور، من كلمات الندم والحسرة والخزي.

﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ ﴾ أي: يصلى النار التي تسعر به، ويكون مخلداً فيها أبداً، لأنه كافر.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ كان في الدنيا متبعاً لهواه وركوب شهوته غافلاً عما أمامه.

﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله، ولا يعيده بعد الموت للجزاء والحساب.

﴿ بَلَىٰٓ ﴾ أي: سيحور ويرجع.

﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ يعني: بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه كان به بصيراً أي: عليماً خبيراً.

* ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾ ﴾.

بعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ أحوال أهل الجنة وأهل النار، أتبع ذلك بذكر ما يجري ويحصل للإنسان من تحول وتغير في حياته ثم مماته حتى يبلغ جنته أو ناره؛ وفي هذا عظة وعبرة، قال تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ ﴾. يقسم الله ـ تعالى ـ بالشفق، وهو الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة.

﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾ أقسم ـ سبحانه ـ بالليل المعروف.

﴿ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾ أي: وما جمع، لأن الليل يجمع الوحوش والهوام وما أشبه ذلك، تجتمع وتخرج وتبرز من جحورها وبيوتها.

﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ ﴾ يعني: اجتمع نوره وتم وكمل في منتصف الشهر القمري وصار بدراً ساطعاً مضيئاً.

﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ ﴾ هذا جواب القسم.

﴿ لَتَرْكَبُنَّ ﴾ أيها الناس.

﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ ﴾ حــالاً بعد حال، من الغنى والفقر والموت والحياة وهي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض.

وبعد هذه الآيات الواضحات التي يعيها البشــر ويرونها صباح ومســاء يناديهم الله ـ عز وجل ـ بصيغة استفهام يقصد به التوبيخ:

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ ﴾،

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ ﴾ أي: أي شــيء يمنعهم من الإيمان بالله ورســوله واليوم الآخر.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ ﴾ ومــا لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن، لا يخضعون لله ـ عز وجل ـ فالسجود هنا بمعنى الخضوع لله والانقياد لأوامره ونواهيه.

ثم ذكر ـ سبحانه ـ أن ديدن الكفار التكذيب، فقال:

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ ﴾.

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ ﴾ أي: أن تركهم الســجود، كان بسبب تكذيبهم لما جاءت به الرسل في البعث والجزاء.

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ ﴾ أي: أنــه ـ ســبحانه وتعالى ـ أعلم بما يوعونه، أي: بما يجمعونه، ويكتمونه، ويضمرونه في أنفسهم من التكذيب في صدورهم.

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ ﴾ أخبرهــم بالعــذاب الأليــم الذي لابد أن يكون، وجعله بشارة تهكماً بهم.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ۝٢٥ ﴾.

﴿ إِلَّا ﴾ استثناء منقطع وتقدر «إلا» بـ «لكن».

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿ لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: ثواب.

﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص، ولا يمنُّ عليهم به.

تفسير سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝ ﴾ .

سـورة البروج سـورة مكية، ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها أن هذه الدنيا سـجال بين أهل الحق وأهل الباطل، وذكر ـ سبحانه ـ أحوال بعض الأمم السابقة وما جرى بين الفريقين، حيث ذكر قصة أصحاب الأخدود، وابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالسـماء ذات النجوم الهائلة، ومداراتها الضخمة، التي تدور فيها الأفلاك، وباليوم العظيم المشهود وهو يوم القيامة، وبالرسل والخلائق على هلاك ودمار المجرمين، قال تعالى:

* ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴿١٠﴾ ﴾ .

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ الواو هـذه حرف قسم، يعني يقسم ـ تعالى ـ بالسماء وبروجها، والله ـ عز وجل ـ يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يُقسم بغير الله، فإن القسم بغير الله شرك.

﴿ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ أي: صاحبة البروج، والبروج جمع برج، وهو المجموعة العظيمة من النجوم، وسميت بروجاً لعلوها وارتفاعها وظهورها وبيانها.

﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ ﴾ اليوم الموعود: هو يوم القيامة الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه.

﴿ وَشَاهِدٍ ﴾ من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق.

﴿ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾ ما يشهد به الشاهدون على المجرمين من الجرائم الفظيعة التي فعلوها بالشهود وأنفسهم، وهم كل من قتل في سبيل الله كما في قصة أصحاب الأخدود.

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ .

﴿ قُتِلَ ﴾ يعني أهلك وعذب، وهو جواب القسم.

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ هم قوم كفار أحرقوا المؤمنين بالنار، حيث شقوا لهم شقاً في الأرض وأضرموا فيه النار فألقوهم فيها وأحرقوهم.

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ ﴾ الوقود: الحطب الذي توقد به.

﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ يعني: أن هؤلاء الذين حفروا الأخاديد وألقوا فيها المؤمنين كانوا ـ والعياذ بالله ـ عندهم قوة وجبروت، يرون النار تلتهم هؤلاء البشر وهم قعود عليها على الأسرة، فيعرضون المؤمنين على الكفر، فمن أبى ألقوه فيها.

﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ يعني: هم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين، أي: استحقوا هذه العقوبة أن الله أهلكهم ولعنهم، وهذا التعدي والظلم على عباد الله الصالحين كان سببه ما ذكره الله ـ عز وجل ـ والغرض تخويف كفار قريش، فقد كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام.

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ أي: ما أنكر هؤلاء الذين سعروا النار بأجساد هؤلاء المؤمنين إلا هذا.

﴿ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ إلا أنهم آمنوا بالله؛ العزيز هو الغالب الذي لا يغلبه شيء.

﴿ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ على وزن فعيل، فيكون بمعنى محمود، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ محمود على كل حال.

﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي: الذي اختص بملك السموات والأرض.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ أي: مُطلع عز وجل ـ على كل شيء، وهذا وعيد شديد لأصحاب الأخدود، ووعد خير لمن عذبوه على دينه من أولئك المؤمنين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾.

قال بعض السلف: انظر إلى حلم الله ـ عز وجل ـ يحرقون أولياءه، ثم يعرض عليهم التوبة يقول:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ ﴾.

﴿فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بمعنى: عذبوا وأحرقوا المؤمنين والمؤمنات.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: ثم لم يرجعوا إلى الله من معصيته إلى طاعته.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝﴾ لأنهم أحرقوا أولياء الله فكان جزاؤهم مثل عملهم جزاء وفاقاً.

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بقلوبهم، وهم الذين آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فإن هذا هو الإيمان.

﴿وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: عملوا الأعمال الصالحة بجوارحهم.

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ من جمع بين الإيمان وعمل الصالحات، لهم عند الله جنات متصفة بهذه الصفة.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بعد البعث، فإنهم يدخلون هذه الجنات التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿مِن تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت أشجارها وقصورها.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المشار إليه الجنات وما فيها من النعيم.

والجنة ليست اسماً لمجرد الأشجار والفواكه، والطعام والشراب، والحور العين، والأنهار والقصور فحسب فإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل.
ومن أعظم نعيم الجنة: التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، وقرة العين بالقرب منه وبرضوانه، فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللذة أبداً، فأيسر يسر من رضوانه: أكبر من الجنان وما فيها من ذلك

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝﴾ يعني: الذي به النجاة من كل مرهوب، وحصول كل مطلوب.

ثم ذكر الله ـ عز وجل ـ بعد الآيات السابقة قوته وعظمه وشدة بطشه بمن خالف أمره، وذكر قصة فرعون وثمود وما جرى لهما، فقال تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝﴾.

﴿إِنَّ بَطْشَ﴾ يعني: أخذه بالعقاب.

﴿رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝﴾ أي: عقابه شديد قوي.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الله ـ عز وجل ـ.

﴿يُبْدِئُ﴾ كل شيء.

﴿وَيُعِيدُ ۝﴾ يعني: أن الأمر إليه ابتداء وإعادة.

ولما ذكر قوته وانتقامه من المخالفين وشدة بطشه، ذكر رحمته وعفوه لمن أطاعه وتقرب إليه.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ﴾ يعني: ذا المغفرة، الساتر لذنوب عباده المتجاوز عنها، والمغفرة: ستر الذنب والعفو عنه، فليست المغفرة ستر الذنب فقط بل ستره وعدم المؤاخذة عليه.

﴿ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ مأخوذة من الود، والود هو خالص المحبة، فهو - جل وعلا - ودود، ومعنى ودود أنه محبوب وأنه حاب، كثير المحبة لمن أطاعه.

ثم بين عظمته وتمام سلطانه في قوله:

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: صاحب العرش، والعرش هو الذي استوى عليه الله - عز وجل -، وهو أعظم المخلوقات وأكبرها وأوسعها وخلقُه بهذا الوصف يدل على عظمة خالقه.

﴿ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ المجد: هو النهاية في الكرم والفضل.

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ هذا وصف الله - تعالى - بأنه الفعال لما يريد، إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون.

ثم لما ذكر رحمته بعباده المؤمنين ورأفته بهم، ذكر أحداث بعض الأمم السابقة، فقال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ ﴾ والخطاب هنا موجه لرسول الله ﷺ أو لكل من يصح أن يتوجه إليه بالخطاب، أي: هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد؟

﴿ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ ﴾ جمع جند وهم الذين تجندوا على أولياء الله، ثم بين من هم بقوله.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ يعني: هل أتاك خبرهم وقصتهم؟ والجواب: نعم أتانا خبرهم.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ أي: أن الذين كفروا بمحمد ﷺ في تكذيب، وكأنهم منغمسون في التكذيب.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ يعني: أن الله ـ تعالى ـ محيط بهم من كل جانب، لا يشذون عنه ولا عن علمه ولا عن سلطانه ولا عن عقابه، والإحاطة بالشيء: الحصر له من جميع جوانبه.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: ما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ أي: ذو عظمة ومجد متناه في الشرف والكرم والبركة، لأنه كلام الله ـ عز وجل ـ، وهو ليس كما يقولون: إنه شعر وكهانة وسحر.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ يعني: بذلك اللوح المحفوظ عند الله ـ عز وجل ـ هو أم الكتاب.

تفسير سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝ ﴾.

ســـورة الطارق سورة مكية، أقسم الله فيها ببعض مخلوقاته، فهو الذي خلق الخلق لعبادته وطاعته، وأرســـل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وجعل عليهم ملائكة يحصون أعمالهم ويدونونها، وتنشـــر هذه الصحائف يوم الجزاء والحســـاب، وقد عظَّم الله ـ عز وجل ـ في هذه الســـورة قدر الســـماء في أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومســـكن ملائكته وفيها خلق الجنة، وابتدأت الســـورة الكريمة بالقسم بالســـماء ذات الكواكب الساطعة، قال تعالى:

* ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ ﴾.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ ﴾ أقســـم الله ـ تعالى ـ بالســـماء والطارق، وكل منهما آية من آياته الدال على وحدانيته.

﴿ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾ الكوكب، وسمى طارقاً لأنه يأتي بالليل ويختفي بالنهار.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ﴾ استفهام للفت النظر إليه

﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ هذا هو الطارق، والثاقب: المضيء الشديد الإضاءة.

﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ ﴾ هذا جواب القسم: أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ، عليها من أمر الله رقيب، وهم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون على كل نفس قولها وفعلها، ويحصون ما تكسب من خير وشر، وحتى يتقين الإنسان من عظمة الله ـ عز وجل ـ وقدرته على ذلك، قال سبحانه:

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ الفاء للدلالة على أن كون على كل نفس حافظ، يوجب على الإنسان أن يتفكر وليتدبر خلقته ومبدأة فإنه مخلوق.

﴿ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ أي: من أي شيء خلقه الله.

﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ ﴾ أي: مصبوب في الرحم، وهو ماء الرجل وماء المرأة؛ لأن الإنسان مخلوق منهما، لكن جعلهما ماءً واحداً لامتزاجهما.

﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ من بين صلب الرجل وترائب المرأة.

﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ ترائب المرأة، وهو موضع القلادة من الصدر.

﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ ﴾.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: الله ـ عز وجل ـ الذي أنشأه ورعاه.

﴿ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ ﴾ أي: على رجع الإنسان وإعادته بالبعث بعد الموت.

﴿ لَقَادِرٞ ۝٨ ﴾ لبيّن القدرة، لا يعجز عنه، وذلك يوم القيامة.

﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾ فالذي قدر على أن يخلق الإنسان من هذا الماء الدافق المهين، قادر على أن يعيده يوم القيامة يوم تختبر السرائر، والسرائر: ما يسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها.

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ أي: فما للإنسان من قوة في نفسه يمتنع بها عن عذاب الله، لا ناصر ولا معين ينقذه مما نزل به.

* ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾ هذا هو القسم الثاني بالسماء.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾ الرجع هو المطر، يسمى رجعاً لأنه يرجع ويتكرر، ومعلوم أن المطر به حياة الأرض.

﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾ الصدع هو الانشقاق يعني التشقق بخروج النبات منه.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي القرآن.

﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ﴾ وصفه الله ـ تعالى ـ بأنه قول فصل، يفصل بين الحق والباطل.

﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ أي: جد ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات، وتنفصل به الخصومات.

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ إِنَّهُمْ ﴾ يعني الكفار المكذبين للرسول ﷺ، فإن هؤلاء المكذبين الذين خلقوا من ماء دافق بلا حول ولا قوة.

﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾ أي: كيداً عظيماً، ويمكرون ويدبرون، في إبطال ما جاء به رسول الله ﷺ في الدين الحق.

﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ أي: أستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأجازيهم بمكرهم مكراً أشد.

ثم قال ـ عز وجل ـ:

﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ مهل وأمهل معناهما واحد، يعني: انتظر بمهلة ولا تنتظر بمهلة طويلة، لا تعجل ولا تستبطئ الأمر. وسترى ما يحل بهم من العذاب والنكال والهلاك.

﴿ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ أي: قليلاً.

تفسير سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝ ﴾.

سورة الأعلى سورة مكية، كان ﷺ يقرأها في صلاة العيد، وفي صلاة الشـــفع قبل الوتر، وفي صلاة الجمعة. فيها تنزيه الله ـ عز وجل ـ وذكر قدرته، فإنه ـ جل جلاله ـ مدبر الكون، عالم الخفيات، له الكمال المطلق في أســـمائه وصفاته وأفعاله، شـــرع لعباده أن يسبحوه بكرة وأصيلاً، وقد سبح هو نفسه مفتتح عدد من السور، ومنها هذه السورة، فقال تعالى:

* ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ ﴾.

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ﴾ الخطاب هنا للرسول ﷺ.

﴿ سَبِّحِ ﴾ يعني: نزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته، والتسبيح والتمجيد: التنزيه واستحضار معاني الصفات الحسنى لله ـ عز وجل ـ.

﴿ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ الرب معناه الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

﴿ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ من العلو.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ ﴾.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ صفة من صفات الله حيث أوجد من العدم جميع الكائنات.

﴿ فَسَوَّىٰ ۝٢ ﴾ يعني: سوى ما خلقه على أحسن صورة.

﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ صفة أخرى من صفات الله حيث قدر كل شيء ـ عز وجل ـ.

﴿ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ يشمل الهداية الشرعية، والهداية الكونية.

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ ﴾ وهذه صفة ثالثة في هذه السورة من صفات الله ـ عز وجل ـ حيث أنبت العشب وما ترعاه الأنعام والنبات الأخضر.

﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾ أي: فجعله، أي بعد أن كان أخضراً.

﴿ غُثَآءً ﴾ أي: هشيماً جافاً.

﴿ أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾ أي: أسود بعد اخضراره، وذلك أن الكلأ إذا يبس اسودّ.

وقد ذكر ـ سبحانه ـ فيما سبق أربعة أمور عامة: الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية وجعل التسوية من تمام الخلق، والهداية من تمام التقدير.

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ هذا بشارة، وعد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ لرسوله ﷺ أنه يقرئه القرآن ويجمعه في قلبه ولا ينساه الرسول.

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ يعني: إلا ما شاء أن تنساه، فإن الأمر بيده ـ عز وجل ـ.

﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾.

﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ ﴾ أي: أن الله ـ تعالى ـ يعلم الجهر، ما يجهر به الإنسان ويتكلم به مسموعاً.

﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾ أي: ما يكون خفيّاً لا يُظهر فإن الله يعلمه.

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾ وهذا أيضاً وعد من الله ـ عز وجل ـ لرسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن ييسره لليسرى، واليسرى أن تكون أموره ميسرة، ولاسيما في طاعة الله ـ عز وجل ـ، فشريعته سمحة وجميع أحواله ميسرة.

﴿ فَذَكِّرۡ ﴾ يعني ذكر الناس، ذكرهم بشرع الله وآيات الله، ذكرهم بأيام الله، عظهم وأرشدهم إلى سبيل الخير.

﴿ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ يعني: في محل تنفع فيه الذكرى والموعظة.

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴾ سيتعظ بالقرآن من يخشى الله ـ عز وجل ـ، أي يخافه خوفاً عن علم بعظمة الخالق ـ جل وعلا ـ.

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴾ أي: يتجنب هذه الذكرى ولا ينتفع بها.

﴿ ٱلۡأَشۡقَى ﴾ هنا اسم تفضيل من الشقاء وهو ضد السعادة.

﴿ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾ الذي يصلى النار الموصوفة بأنها.

﴿ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ وهي نار جهنم.

﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة ينتفع بها.

* ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ مأخوذ من الفلاح، والفلاح كلمة جامعة، وهو: الفوز بالمطلوب.

﴿ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ مأخوذة من التزكية وهي التطهير.

﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ ذكر الله، واتصف بذكر الله وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله خصوصاً الصلاة، فصلى خشوعاً وامتثالاً لأمره.

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾.

﴿ بَلْ ﴾ أي: إنكم

﴿ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ ﴾ أي: تفضلون وتقدمون حياة الدنيا على الآخرة.

﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ الآخرة خير من الدنيا وأبقى، خير بما فيها من النعيم والسرور الدائم الذي لا ينغص بكدر، كذلك أيضاً هي أبقى من الدنيا؛ لأن بقاء الدنيا قليل زائل مضمحل، بخلاف بقاء الآخرة فإنه أبد الآبدين.

وفي ختام الآيات تجيء الإشـــارة إلى قدم هـــذه الدعوة وعراقة منبتها، وامتـــداد جذورها في شـــعاب الزمن، وتوحد أصولهـــا منذ القدم، حيث رسالات الأنبياء.

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾.

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ﴾ مـــا ذكر من كون الإنســـان يؤثر الحيـــاة الدنيا على الآخرة وينسى الآخرة.

﴿ لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ ﴾ أي: ثابت فيها؛ السابقة على هذه الأمة.

﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ وهـــي صحف جاء بها إبراهيم وموســـى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، تتابعت فيها أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا.

تفسير سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝ ﴾ .

سورة الغاشية سورة مكية، ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقرأها في صلاة العيد والجمعة، وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها مصير وحال أهل السعادة وأهل الشقاء، محذرا ومبيناً، رأفة وشفقة بالعباد حتى لا يضلوا ولا ينحرفوا. وفي هذه السورة ذكر لبيان شيء مما يجده أهل النار في النار، وما ينعم به أهل الجنة في الجنة، قال تعالى:

* ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝ ﴾ .

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝ ﴾ .

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ الاستفهام للتشويق إلى استماع الخبر، وللتنبيه والتفخيم لشأنها أي: قد جاءك يا محمد.

﴿حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ أي: نبؤها وخبرها.

﴿ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ هي الداهية العظيمة التي تغشى الناس بأهوالها، والغاشية اسم من أسماء يوم القيامة.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ أي: إن الناس يكونون يوم القيامة فريقين: الأول: وجوههم ذليلة خاضعة من الخزي والفضيحة.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣﴾ عاملة عملاً يكون به النصب، وهو التعب ولا أجر لهم عليه، لما هم عليه في الكفر والضلال.

﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤﴾ أي: تدخل في نار جهنم الشديدة الحرارة.

﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥﴾.

﴿تُسۡقَىٰ﴾ أي: هذه الوجوه.

﴿مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥﴾ أي: حارة، شديدة الحرارة.

﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦﴾ الضريع قالوا: إنه شجر ذو شوك عظيم إذا يبس لا يرعاه ولا البهائم.

﴿لَّا يُسۡمِنُ﴾ فلا ينفع الأبدان في ظاهره.

﴿وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧﴾ فلا ينفعها في باطنها، فهو لا خير فيه، ليس فيه إلا الشوك.

* وبعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ حال أهل النار وما يلاقونه من عذاب وشقاء، بدأ في ذكر أصحاب الفريق الثاني، وهم أصحاب الجنة، ووصف حالهم وما هم فيه من النعيم والسعادة، فقال تعالى:

❊ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝﴾ أي: في نعمة وكرامة؛ ناعمة بما أعطاها الله ـ عز وجل ـ من السرور والثواب الجزيل، وهي وجوه أصحاب الفريق الثاني.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝﴾ أي: لعملها الذي عملته في الدنيا راضية لأنها وصلت به إلى هذا النعيم وهذا السرور وهذا الفرح.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝﴾ الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله ـ عز وجل ـ لأوليائه يوم القيامة. والعلو ضد السفول فهي فوق السماوات السبع.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝﴾ أي: لا تسمع في هذه الجنة قولةً لاغية، أو نفساً لاغية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝﴾.

﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾ أي: في الجنة عين ماء وهي ينبوع متدفق، وهو يجمع إلى الري الجمال.

﴿جَارِيَةٌ ۝﴾ أي: تجري حيث أراد أهلها لا تحتاج إلى حفر ساقية ولا إقامة أخدود.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝﴾ أي: في الجنة سرر عالية يجلسون عليها يتفكهون، والارتفاع يوحي بالنظافة كما يوحي بالطهارة.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝﴾ الأكواب جمع كوب، وهو الكأس ونحوه.

﴿مَّوْضُوعَةٌ ۝﴾ يعني: ليست مرفوعة عنهم، بل هي موضوعة لهم متى شاءوا شربوا فيها من هذه الأنهار الأربعة.

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ النمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة من الحرير والإستبرق.

﴿ مَصْفُوفَةٌ ﴾ مصفوفة مرتبة بعضها إلى بعض على أحسن وجه، تلتذ العين بها قبل أن يلتذ البدن بالاتكاء إليها.

﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ الزرابي: أعلى أنواع الفرش.

﴿ مَبْثُوثَةٌ ﴾ منشورة في كل مكان، ومفرقة في المجالس.

* ومن رحمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه يعيدنا دائماً إلى التفكر في المخلوقات، ومن خلقها، ومن المستحق العبادة، فهو ـ سبحانه ـ يذكر في الآيات القادمة مخلوقات قريبة يراها العرب صباحاً ومساءً، وفي التفكر في عظم خلقها، وحسن صورتها وقوة تحملها؛ دعوة إلى عبادة من خلقها وأبدع خلقها قال سبحانه وتعالى:

* ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝ ﴾.

تجمع هذه الآيات الأربعة التالية مشاهد عظيمة، يصبح الإنسان ويمسي وهو يراها خاصة في بيئة مكة والعرب من حولها، فهي تبدأ النظر من الإبل، ثم ترتفع لتصل إلى الأعلى إلى السماء الأكثر ارتفاعاً والأكبر حجماً، ثم تنزل من علو إلى الجبال التي تجاهه وعلوها الأدنى من السماء، ثم تصل في النهاية إلى الأرض التي تحته وانبساطها وسهولتها! وكل ذلك تفكر في مخلوقات الله.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ وهذا الاستفهام، وبدأ بالإبل؛ لأن أكثر ما يلابس الناس في ذلك الوقت الإبل، فهم يركبونها، ويحلبونها، ويأكلون لحمها، وينتفعون من أوبارها، وعلى ما هي عليه من الخلق البديع، من عظم جثتها، وفريد قوتها، وبديع أوصافها.

﴿كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ يعني: كيف خلقها الله ـ عز وجل ـ، هذا الجسم الكبير المتحمل، تجد الإبل تمشي مسافات طويلة لا يبلغها الإنسان إلا بشق الأنفس وهي متحملة.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨﴾ يعني: وينظرون إلى السماء كيف رفعت هذا الارتفاع العظيم بلا عمد وبما فيها من النجوم، والشمس، والقمر.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾ هذه الجبال العظيمة التي تحمل الصخور رفعت على الأرض، مرساة راسخة لا تميد ولا تميل ولا تزول.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ أي: مدت مداً واسعاً وسهلت غاية التسهيل ليستقر الخلائق على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغرسها والبنيان فيها، وغير ذلك من الفوائد العظيمة.

❊ بعد هذه الآيات وذكر المعجزات والمخلوقات، يعيد ـ سبحانه ـ الكرة مرة أخرى للأصل الذي خلق من أجله الإنسان، ألا وهو عبادته ـ سبحانه ـ وما كلف به الرسول ﷺ من الدعوة والقيام بأمرها، وأمره بالوعظ والتذكير فقال تعالى:

﴿فَذَكِّرْ﴾ أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبينا محمد ﷺ أن يذكر ويعظ ويخوف.

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ أي: لست إلا مذكراً مبلغاً، فإن مهمة الأنبياء البلاغ.

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ يعني: ليس لك سلطة عليهم حتى تكرههم على الإيمان، فإن الهداية بيد الله ـ عز وجل ـ يهدي من يشاء.

﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾.

﴿ إِلَّا ﴾ هنا بمعنى لكن.

﴿ تَوَلَّىٰ ﴾ أعرض وتولى عن الوعظ.

﴿ وَكَفَرَ ﴾ أي: استكبر ولم يقبل ما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ والعذاب الأكبر عذاب جهنم الدائم يوم القيامة.

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ أي: مرجع الخلائق إلينا بعد الموت.

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ محاسبتهم، ومجازاتهم بأعمالهم بعد رجوعهم إلى الله بالبعث.

تفسير سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي
ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي
لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي
الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ
سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ
وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ
﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا
دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي
﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي
جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾.

ســورة الفجر سورة مكية، ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها حال بعض الأمم السابقة، وقصص الأقوام الفانية، خاصة من كذبوا وتكبروا وطغوا، ثم ما جرى لهم من العذاب والنكال، وبيان ســنة الله ـ تعالى ـ في ابتلاء العباد في هذه الحياة بالخير والشر، ثم ذكر ـ سبحانه ـ الآخرة وأهوالها وشدائدها وانقســام الناس يوم القيامة إلى سعداء وأشــقياء، ومنازل هؤلاء وأولئك؛ وكل ذلك لأخذ العبرة من مآلهم والحذر من مخالفة أمر الله ـ عز وجل ـ قال سبحانه:

* ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝ ﴾.

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ ﴾ كل هذه إقسامات أقسم الله ـ عز وجل ـ بها.

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ هو الصبح والنور الساطع الذي يكون في الأفق الشرقي قرب طلوع الشمس.

﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ ﴾ أي: الليالي العشر الأولى من ذي الحجة.

﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝ ﴾ قيل: إن المراد به كل الخلق، فالخلق إما شفع وإما وتر، وقيل المراد بالشفع: يوما التشريق الأول والثاني اللذان يجوز التعجل فيهما، والوتر اليوم الثالث.

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ ﴾ أي: إذا جاء وأقبل واستمر ثم أدبر، والتقييد بسريانه لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ونور النعمة.

﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝ ﴾ لذي عقل، أي: فمن كان ذا عقل ولب علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء حقيق بأن يقسم به، والاستفهام تقريريٌّ لفخامة شأن الأمور المقسم بها.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بقلبك وبصيرتك يا محمد.

﴿ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ ﴾ أي: كيف فعل بهذه الأمة الطاغية وهي ﴿ إِرَمَ ﴾ وهذا هو جواب القسم.

ما الذي فعل بهم؟ وعـاد قبيلة معروفة في جنوب الجزيرة العربية كانوا يسكنون بالأحقاف بين عُمان وحضرموت، وقيل: اسم للقرية، أرسل الله ـ تعالى ـ إليهم هوداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ فبلغهم الرسالة ولكنهم عتوا وبغوا وقالوا: من أشد منا قوة.

﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝﴾ يعني: أصحاب الأبنية القوية.

﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝﴾ أي: لم يصنع مثلها في البلاد؛ لأنها قوية ومحكمة، وهذا هو الذي غرهم وقالوا: مَن أشد منا قوة؟

﴿وَثَمُودَ﴾ أي: وكذلك ثمود، وهم قوم صالح، ومساكنهم معروفة الآن.

﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝﴾ أي: قطعـوا الصخر ونحتوه، وذلك في وادي القرى الذي كانت تسـكنه ثمود، وكانوا ينحتون الجبال وينقبونها بيوتاً يسكنون فيها.

﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ فرعـون هو الذي أرسـل الله إليه موسـى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكذب وطغى.

﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝﴾ أي: ذي القـوة التـي يعذب الناس بها ويشـدهم إليها.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝﴾ صفة لعاد وثمود وفرعون، والطغيان مجاوزة الحد.

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝﴾ أي: بالكفر ومعاصي الله، والجور على عباد الله.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ﴾ الصب يكون من فوق، والعذاب الذي أتى هؤلاء من فوق من عند الله ـ عز وجل ـ، واستعمل لفظ الصبّ لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب.

﴿سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ السوط: هو العصا الذي يضرب به.

ثم لما ذكر الله ـ عز وجل ـ ما أرسل على كل طائفة من العذاب، فأُهلكت عادٌ بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون وجنوده بالغرق. ذكر أنه ـ سبحانه ـ يرقب عمل الناس ويحصيه عليهم، ويجازيهم به، قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ الخطاب هنا للنبي ﷺ، أو لكل من يتوجه إليه الخطاب، يبين الله ـ عز وجل ـ أنه بالمرصاد لكل من طغى واعتدى وتكبر، فإنه له بالمرصاد سوف يعاقبه ويؤاخذه ويأخذه أخذ عزيز مقتدر.

* وبعد أن ذكر الله حال بعض الأمم السابقة من الطغيان والعصيان وأنه لهم بالمرصاد، ذكر ما يدل على اختلاف أحوال العباد، فذكر أنه ـ سبحانه ـ يبتلي بعض عباده بالغنى والبعض بالفقر لينظر كيف يفعلون؟ فإن قيمة العبد عند الله ومكانته لا تتعلق بما وهب له من الدنيا وما ناله من الأموال والأولاد وعرض الدنيا الفانية. فهو ـ سبحانه ـ يُعطي الصالح والطالح، والبر والفاجر، والمؤمن والكافر. ابتلاءً لهم بالسراء للغني، وبالضراء للفقير، قال سبحانه:

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ الابتلاء من الله ـ عز وجل ـ يكون بالخير وبالشر، والابتلاء: الاختبار والامتحان.

﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ أي: أكرمه بالمال ووسع عليه رزقه، وجاد عليه بالجاه والصحة.

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥﴾ يعني: إنني أهل للإكرام، ولا يعترف بفضل الله ـ عز وجل ـ.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ اختبره الله ـ عز وجل ـ وامتحنه.

﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ يعني: ضيق عليه الرزق ولم يوسعه له، ولا بسط له فيه.

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾ يقول إن الله ـ تعالى ـ ظلمني فأهانني ولم يرزقني كما رزق فلاناً، ولم يكرمني كما أكرم فلاناً، فصار عند الرخاء لا يشكر، يعجب بنفسه ويقول: هذا حق لي، وعند الشدة لا يصبر بل يعترض على ربه ويقول:

﴿رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾ أنكر ـ سبحانه ـ على الإنسان قوله: أكرمن وأهانن؛ لأنه قال ذلك على وجه الفخر والكبر لا على وجه الشكر. وهذا حال الإنسان باعتباره إنساناً، أما المؤمن فليس كذلك لأنه يعلم أن الكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المؤدي إلى حظ الآخرة، وإن وسع عليه في الدنيا حمده وشكره.

﴿كَلَّاۖ﴾ يعني: لم يعطك ما أعطاك إكراماً لك لأنك مستحق، وليس كل من نعّمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لديَّ. إنما الغنى والسعة ابتلاء من الله وامتحان ليرى من يشكر ومن يكفر.

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ يعني: أنتم إذا أكرمكم الله ـ عز وجل ـ بالنعم لا تعطفون على المستحقين للإكرام وهم اليتامى، بما آتاكم الله من الغنى، ولو أكرمتموه لكان ذلك لكم كرامة عند الله.

﴿ٱلْيَتِيمَ﴾ الفقير من اليتامى، والغني من اليتامى.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ يعني: لا يحض بعضكم بعضاً على أن يطعم المسكين، وإذا كان لا يحض غيره فهو أيضاً لا يفعله، فهو لا يطعم المسكين ولا يحض على طعام المسكين.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾.

﴿ٱلتُّرَاثَ﴾ ما يورثه الله العبد من المال، سواء ورثه عن ميت، أو باع واشترى وكسب، أو خرج إلى البر وأتى بما يأتي به من عشب وحطب وغير ذلك.

﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ ذا لم، وهو الجمع بين الحلال والحرام، وكانوا يأكلون المال أكلاً شديداً بنهم وطمع، حيث كانوا يأكلون ميراث الصغير والمرأة.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: عظيماً مع حرص وشره، وهذا هو طبيعة الإنسان.

وكل هذه الأعمال السابقة من كفر النعمة وعدم شكرها والقيام بحقها تقع في الدنيا، ولهذا ذكر الله ـ عز وجل ـ بعدها أحوال الآخرة وما يجري فيها حتى يتعظ الإنسان ويرجع عن غيه، فقال تعالى:

* ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

يُذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الناس بيوم القيامة.

﴿كَلَّآ﴾ للردع، أي: ما هكذا ينبغي أن يكون عملكم، ثم استأنف ـ سبحانه ـ فقال:

﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١﴾ زلزلت وحركت تحريكاً بعد تحريك حتى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، تُدك الجبال، وتمد الأرض، وفيه وعيد لهم بعد الردع والزجر.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ هذا المجيء هو مجيئه ـ عز وجل ـ لفصل القضاء بين عباده. ونؤمن بأن الله يجيء لكن مجيئاً يليق بجلاله.

﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾ أي: الملائكة صفاً بعد صف.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ مزمومة والملائكة يجرونها؛ وعند هذا الموقف المهول.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: إذا جاء الله في يوم القيامة، وجاء الملك ـ الملائكة ـ صفوفاً صفوفاً، وأحاطوا بالخلق، وحصلت الأهوال والأفزاع يتذكر الإنسان، يتذكر أنه وعد بهذا اليوم، وأنه أعلم به من قبل الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وأنذروا وخوفوا.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ٢٣﴾ أين يكون له الذكرى في هذا اليوم الذي رأى فيه ما أخبر عنه يقيناً؟ فقد فات أوان الذكرى وذهب زمانها يقول متحسراً على ما فرط في جنب الله يتمنى لكن لا يحصل.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ٢٤﴾ يتمنى أنه قدم لحياته هنا شيئاً، ويالتني أمنية فيها الحسرة الظاهرة.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ٢٥﴾ أي: لا يعذب عذاب الله أحد، بل عذاب الله أشد.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦﴾ ولا يوثق وثاق الله أحد، بل هو أشد ويوثق: أي: يقيد ويؤمر.

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾.

﴿ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ يعني: المؤمنة الآمنة الموقنة الموحدة.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يقال هذا القول للمؤمن عند النزع في آخر لحظة من الدنيا أي: ارجعي إلى الله.

﴿رَاضِيَةً﴾ بما أعطاك الله من النعيم.

﴿مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ عند الله ـ عز وجل ـ.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩﴾ أي: في زمرة عبادي الصالحين وكوني في جملتهم.

﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ أي: جنته التي أعدها الله ـ عز وجل ـ لأوليائه، وأضافها إلى نفسه تشريفاً لها وتعظيماً، وإعلاماً للخلق بعنايته بها ـ جل وعلا ـ.

تفسير سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠ ﴾ .

سورة البلد سورة مكية، ذكر الله ـ عز وجل ـ في أولها ما قُدِّر على الإنسان في هذه الدنيا من المشقة والتعب والأكدار والأحزان والمكابدة، ولهذا حث على الصبر والتحمل وعدم التضجر مما يُبتلى به في هذه الدنيا، ولينظر أيضاً لدار ليس فيها نكد ولا حزن وهي الجنة فتكون هدفه ومستقره برحمة الله.

* ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ .

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ ﴾ .

﴿ لَآ أُقْسِمُ ﴾ لا: لاستفتاح الكلام وتوكيده، والقسم تأكيد الشيء بذكر معظَّم على وجه مخصوص.

﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ البلد هنا مكة، وأقسم الله بها لشرفها وعظمها، فهي أعظم بقاع الأرض حرمة، وأحب بقاع الأرض إلى الله ـ عز وجل ـ.

﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ وأقسم الله بهذا البلد وهو مكة، الذي أنت مقيم به يا محمد تشريفاً لك وتعظيماً لقدرك.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ يقسم ـ سبحانه ـ بالوالد وأولاده وما تناسل منهما، تنبيهاً على عظم آية التناسل والتوالد ودلالتها على قدرة الله وحكمته، وهو ـ سبحانه ـ أقسم على حال الإنسان، وأقسم بالبلد الأمين وهو مكة، ثم أقسم بالوالد وما ولد، وهو آدم وذريته، وعلى هذا فقد تضمن القسم أصل المكان وأصل السكان، فمرجع البلاد إلى مكة، ومرجع العباد إلى آدم.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ جواب القسم، مؤكدة بثلاثة مؤكدات، وهي: القسم، واللام، وقد.

﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الإنسان اسم جنس يشمل كل واحد من بني آدم.

﴿فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ مكابدة الأشياء ومعاناتها وشدتها، والآية تسلية لرسول الله ﷺ مما كان يكابده من كفار مكة.

ثم ذكر ـ سبحانه ـ في الآية التالية طبيعة الإنسان الجاحد بقدرة الله، والمكذب للبعث والنشور، فقال تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ أي: أن الإنسان في نفسه وقوته يظن أن لن يُبعث، ولا يقدر عليه أحد، ولا ينتقم منه أحد، وأتى ههنا بلن، الدالة على المضي في مقابلة قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ فإن ذلك في الماضي.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أي: أنفق مالاً كثيراً في شهواته وفي ملذاته، وسمى الله ـ عز وجل ـ الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكاً،

لأنـــه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخســـار والتعب والقلة.

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ ﴾ أيظن هذا أنه لا يراه أحد في تبذيره المال، وصرفه فيما لا ينفع، وينسى أن عين الله عليه، وأن علمه محيط به.

فإن الإنسان قد يغتر بقوته ولا فضل له فيها، بل الله هو المنعم عليه بهذا القدر من القوة، وكل هذا تهديد للإنسان أن يتغطرس، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝ ﴾ ذكر الله ـ عز وجل ـ هنا ثلاث نعم من أكبر النعم على الإنسان.

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ ﴾ يعني: يُبصر بهما ويرى، ومن هنا بدأ تعداد النعم العظيمة على الإنسان.

قرأ الفضيل بن عياض ليلةً هذه الآية، فبكى، فســـئل عن بكائه، فقال: هل بت ليلة شاكراً لله أن جعل لك عينين تُبصر بهما؟ هل بت ليلة شاكراً لله أن جعل لك لساناً تنطق به؟ وجعل يُعددٌ من هذا الضرب.

﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ ﴾ لســـاناً ينطق به، وشـــفتين يضبط بهما النطق ويستعين بهما على الأكل والشرب.

﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝ ﴾ أي: بينا له طريق الخير، وطريق الشر.

وقيل: دللناه على ما به غـــذاؤه وهو الثديان؛ فإنهما نجدان لارتفاعهما فوق الصدر.

* وبعـــد أن ذكـــر ـ عز وجل ـ هذه النعـــم على عباده، ذكـــر ـ عز وجـــل ـ عقبة كؤوداً هي التي تقف بينه وبـــين الجنة، لو تخطاها لوصل، وهو مثلٌ ضربه الله ـ تعالى ـ لمجاهدة النفس، والهوى، والشيطان، حتى ينال رضى الرحمن.

* ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝ ﴾ .

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ ﴾ أي: الإنسان الذي كان يقول: ﴿ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝ ﴾ .

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ ﴾ يعني: هلا اقتحم العقبة؟ والاقتحام هو التجاوز بمشقة.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ ﴾ أي: وما أعلمك ما اقتحام العقبة؟ وفيه تعظيم لشأنها وتهويل.

﴿ ٱلْعَقَبَةَ ۝ ﴾ هي الطريق في الجبل الوعر، واقتحام هذه العقبة شاق على النفوس، أي: أفلا نشط واخترق الموانع التي تحول بينه وبين طاعة الله.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ ﴾ هذا الاستفهام للتشويق والتفخيم أيضاً.

وقد بينها الله في قوله: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ .

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ ﴾ أي: هي عتق رقبة مملوك من الرق والعبودية.

﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ ﴾ .

﴿ أَوْ ﴾ هذه للتنويع.

﴿ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ ﴾ أي: ذي مجاعة شديدة، ويوم المجاعة الذي يعز فيه الطعام هو محك لحقيقة الإيمان وحب البذل في أوجه الخير.

﴿يَتِيمًا﴾ اليتيم هو من مات أبوه قبل أن يبلغ، سواء كان ذكراً أم أنثى.

﴿ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ ذا قرابة من الإنسان؛ لأنه إذا كان يتيماً كان له حظ من الإكرام والصدقات، وإذا كان قريباً ازداد حظه من ذلك.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ المسكين: هو الذي لا يجد قوته ولا قوت عياله، والمتربة: مكان التراب، والمعنى: أنه مسكين ليس بيديه شيء إلا التراب.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: ثم هو بعد ذلك ليس محسناً إلى اليتامى والمساكين فقط، بل هو ذو إيمان لأن هذه القرب والطاعات إنما تنفع مع الإيمان إذا أتى بها لوجه الله.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصيه، والصبر على ما أصابهم من البلايا والمصائب.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً أن يرحم الآخرين من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ أي: هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات.

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ أي: أصحاب اليمين.

وقرن ـ سبحانه ـ بين الأبرار والفجار على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب، لبيان المفارقة الهائلة بين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشرار.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي: جحدوا بالقرآن.

﴿ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ ﴾ .

﴿ هُمْ ﴾ الضمير هنا جاء للتوكيد.

﴿ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ ﴾ يعني: الشمال أو الشؤم.

﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝ ﴾ أي: عليهم نار مطبقة مغلقة أبوابها، لا يخرجون منها ولا يستطيعون سبيلا.

تفسير سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝ ﴾.

سورة الشمس سورة مكية، ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها أن من أسباب الفوز والفلاح محاسبة النفس ومراجعتها وتعاهدها، وبذلك تستقيم النفوس وتتزكى القلوب، والمسلم مأمور بذلك في كل حين ووقت، فإن ذلك أقرب للتوبة والعودة إلى الله ـ عز وجل ـ، ومحاسبة النفس قبل أن تحاسب.

وفي مطلع السورة، يقسم الله ـ عز وجل ـ بسبعة أشياء من مخلوقاته العظيمة، فأقسم ـ تعالى ـ بالشمس وضوئها الساطع، وبالقمر إذا أعقبها وهو طالع، ثم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه، وبالليل إذا غطَّى الكائنات بظلامه، ثم بالقادر الذي أحكم بناء السماء بلا عمد، وبالأرض التي بسطها على ماء جمد، وبالنفس البشرية التي كملها الله وزينها بالفضائل والكمالات، أقسم بهذه الأمور على فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد، قال سبحانه:

* ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ .

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ ﴾ أقسم الله ـ تعالى ـ بالشمس وضحاها، وهو ضوؤها لما في ذلك من الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وكمال علمه ورحمته. والضحى: وقت ارتفاع الشمس بعد طلوعها إذا تم ضياءها.

﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ ﴾ قيل: إذا تلاها في السير بعد غروب الشمس. وحكمةُ القسم بالشمس أن العالم في وقت غيبة الشمس عنهم كالأموات، فإذا ظهر الصبح وبزغت الشمس دبت فيهم الحياة، وصار الأموات أحياء فانتشروا لأعمالهم وقت الصحوة، وهذه الحال تشبه أحوال القيامة، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها، والشمس والقمر مخلوقات لمصالح البشر، والقسم بها للتنبيه على ما فيهما من المنافع العظيمة وقيل: إذا تلاها في الإضاءة.

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ ﴾ إذا جلى الأرض وبينها ووضحها؛ لأنه نهار تتبين به الأشياء وتتضح.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ ﴾ إذ يغطي الأرض حتى يكون كالعباءة المفروشة على شيء من الأشياء.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ ﴾ أي: والسماء وبنائها.

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ ﴾ أي: بسطها من كل جانب.

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾ أنشأها وسوى أعضاءها وركب فيها الروح وجعلها مستقيمة على الفطرة.

﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ أي: الله ـ عز وجل ـ ألهم هذه النفوس وعرَّفها وأفهمها.

﴿ فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ ﴾ أي: عرفها، وأفهمها، طريق الخير وطريق الشر، وعلمها الطاعة والمعصية، وما فيهما من الحسن والقبح. والفجور هو ما يقابل التقوى.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾ جواب القسم والتقدير: لقد أفلح، أي: فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب، من زكى نفسه وأعلاها بالتقوى.

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ أي: خسر من أرداها في المهالك والمعاصي والكفر والفسوق.

والمعنى: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وخاب من دساها بالمعاصي، فالطاعة تزكي النفس وتطهرها، فترتفع، والمعاصي تُدسي النفس، وتقمعها فتنخفض، وتصير كالذي يُدسُّ في التراب.

* وبعد هذه الآيات الكريمة ساق الله ـ عز وجل ـ قصة ثمود الذين بعث إليهم نبيه صالحاً ـ عليه السلام ـ فكذبوه وعصوا أمره وخالفوه، وما جرى من وقوع العذاب عليهم، فقال تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝ ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ﴾ ثمود اسم قبيلة، ونبيهم صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وديارهم في الحجر معروفة في طريق الناس، هؤلاء كذبوا نبيهم صالحاً بسبب الطغيان، حملهم على التكذيب، والطغيان مجاوزه الحد في المعاصي.

﴿ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾ أي: بأجمعها.

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾ هذا بيان للطغيان الذي ذكره الله ـ عز وجل ـ وذلك حين.

﴿ ٱنۢبَعَثَ ﴾ يعني: انطلق بسرعة لعقر الناقة.

﴿ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾ أي: أشقى ثمود.

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ صالح ـ عليه السلام ـ محذراً، وفي هذا إيضاح لمهمة الرسل وأنهم يجاهدون أقوامهم ويدلونهم على الخير.

﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ أي: ذروا ناقة الله، وحذرهم أن يعقروها.

﴿ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ شربها من الماء، فلا تتعرضوا له يوم شربها.

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ أي: كذبوا صالحاً فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا.

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أي: فذبحوا الناقة، عقراً حصل به الهلاك.

﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾ أطبق عليهم فأهلكهم بسبب ذنوبهم، دمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعياً ولا مجيباً، والدمدمة: هلاكُ باستئصال.

﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ أي: فسوى الأرض عليهم فجعلهم تحت التراب.

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾ يعني: أن الله لا يخاف من عاقبة هؤلاء الذين عذبهم، وكيف يخاف وهو القادر القاهر الجبار الحكيم في كل ما قضاه وشرعه ـ سبحانه وتعالى ـ.

تفسير سورة الليل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝ ﴾ .

سورة الليل سورة مكية، جلى فيها ـ سبحانه وتعالى ـ حكمته وعدله وسبق ذلك بذكر بديع صنعه في الأكوان، وذكر أن من تمام عدله وحكمته أنه لا يضيع عمل المحسن ولا يغفل عمل المسيء، ومن ذلك أن يُوفق المحسن للاستزادة من عمل الخير، ويحرم المسيء من الهداية لأفعال الخير فيستمر في أعمال الشر، وابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالليل إذا غشي الخليقة بظلامه، وبالنهار إذا أنار الوجود بإشراقه وضيائه، وبالخالق العظيم الذي أوجد النوعين الذكر والأنثى، أقسم على أن عمل الخلائق مختلف، وطريقهم متباين، قال تعالى:

* ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝ ﴾ .

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝﴾ الواو للقسم، أقسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالليل إذا يغشى، يعني حين يغشى الأرض ويغطيها بظلامه.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝﴾ أي: إذا ظهر وبان وانكشف، فاستضاء الخلق بنوره.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝﴾ ما هنا هي الموصولة، أي: والذي خلق الذكر والأنثى. وهذا منه ـ تعالى ـ إقسام بخلقه لجنسي الذكر والأنثى من بني آدم وغيرهم.

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝﴾ هذا جواب القسم، يعني: إن عملكم.

﴿لَشَتَّىٰ ۝﴾ أي: لمتفرق تفرقاً عظيماً؛ فمنه عمل للجنة، ومنه عمل للنار، فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝﴾، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ أي: أعطى ما أمر بإعطائه من مال، أو جاه، أو علم في وجوه الخير.

﴿وَٱتَّقَىٰ ۝﴾ اتقى ما أمر باتقائه من المحرمات.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝﴾ صدق بالقولة الحسنى، وهي قول الله ـ عز وجل ـ، وقول رسوله ﷺ، بالخلف والعاقبة الحسنة من الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝﴾ السين: هنا للتحقيق أي: أن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسييسره الله ـ عز وجل ـ لليسرى في أموره كلها، في أمور دينه ودنياه، نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصديق: اشترى ستة عبيد من المؤمنين كانوا في أيدي أهل مكة، يعذبونهم في الله فأعتقهم.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بماله، فلم يعط ما أمر بإعطائه فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما أوجب الله.

﴿وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ استغنى عن الله ـ عز وجل ـ، ولم يتق ربه، بل رأى أنه في غنى عن رحمة الله، وزهد في الأجر والثواب.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ أي: بالقولة الحسـنى، وهي قول الله ـ تعالى ـ وقول رسوله ﷺ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ ييسـر للعسـرى في أموره كلها فتتعسر عليه أسباب الخير والصلاح، ويضعف عن فعلها، فيؤديه ذلك إلى النار.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ يعني: أي شيء يغني عنه ماله إذا بخل به.

﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ أي: هلك، فأي شيء يغني المال؟ لا يغني شيئاً.

* ثـم ذكر ـ جـل وعلا ـ مـا كتبه على نفسـه ـ فضلاً منـه بعباده ورحمـة ـ أن يبين الهـدى لفطرة الناس ووعيهم، فـلا تكون هناك حجة لأحد، ولا يكون هناك ظلم لأحد، قال تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ فيـه التزام من الله ـ عز وجل ـ أن يبين للخلق ما يهتدون به إليه، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ يعنـي: لنـا الآخرة والأولى وكل ما في الدنيا نتصرف به كيف نشاء، الأولى متقدمة على الآخرة في الزمن، ولكنه في هذه الآية أخرها.

ولما ذكر الله ـ عز وجل ـ في الآيات السـابقة انقسام الناس إلى مصدق ومكذب، وباذل وممسك، ذكر جزاءهما في الآخرة، فقال تعالى:

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ .

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا ﴾ أي: فحذرتكم يا أهل مكة نار الآخرة.

﴿ تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ تشتعل وتتوقد وتتوهج.

﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾ .

﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ ﴾ يعني: لا يحترق بها ولا يجد صلاها وهو حرها.

﴿ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾ يعني الذي قدرت له الشقاوة، والشقاوة ضد السعادة، وهو المكذب بالدين والمعرض عنه.

﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: كذب بالحق الذي جاءت به الرسل.

﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ يعني: أعرض عن طاعة الله، وأعرض عما جاءت به رسله، فهذا هو الشقي.

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ﴾ أي: يُجنب هذه النار التي تلظى ويبعد عنها.

﴿ ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾ والأتقى اسم تفضيل من التقوى، يعني: الذي اتقى الله ـ تعالى ـ حق تقاته.

﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ يعني: يعطي ماله من يستحقه على وجه يتزكى به، أي: يطلب بذلك أن يكون عند الله زكياً.

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ . أي: إنه لا يتصدق بماله ليجازي بصدقته نعمة لأحد من الناس عنده ويكافئه عليها.

﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ فهو لا ينفق إلا طلب وجه الله، ولهذا كان من كمال الإخلاص أن لا يجعل العبد عليه منَّة لأحد من الناس، لتكون معاملته كلها لله ابتغاء وجهه، وطلب مرضاته، فكما أن هذه الغاية أعلى الغايات وهذا المطلوب أشرف المطالب، فهذا الطريق أقصر الطرق إليه، وأقربها وأقومها.

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١ ﴾ يعني سوف يرضيه الله ـ عز وجل ـ بما يعطيه من الثواب الكثير والجزاء العظيم.

تفسير سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

سورة الضحى سورة مكية، تتناول شخصية النبي ﷺ، وما حباه الله من الفضل والإنعام في الدنيا والآخرة، ليشكر الله على تلك النعم الجليلة.

وسبب نزولها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل يصلي لله ـ عز وجل ـ ويناجيه، وفي ليلة مرض ﷺ فلم يقم لصلاة الليل ليلتين أو ثلاثاً، واحتبس عنه الوحي، فأتته امرأة مشركة من قومه هي أم جميل امرأة أبي لهب، فقالت: يا محمد: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، لم يقربك ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله هذه السورة، وكلها نجاء له من ربه، وتسرية وتسلية وتطمين، وقد أقسم ـ عز وجل ـ في هذه السورة بالضحى، والليل إذا سجى، على إنعامه على رسوله ﷺ وإكرامه له، وإعطائه ما يرضيه، وذلك متضمن لتصديقه له، فهو قسم على صحة نبوته، وعلى جزائه في الآخرة، فهو قسم على النبوة والمعاد، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته، دالة على ربوبيته، وحكمته ورحمته، وهما الليل والنهار، وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد الظلام للمقسم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه. وكذلك فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء

النهار، هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة، وكذلك فإنه ـ سبحانه ـ اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمداً، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم، قال تعالى:

❊ ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾.

﴿وَالضُّحَىٰ ۝﴾ أقسم الله ـ عز وجل ـ بالضحى هو أول النهار، وهو اسم لوقت ارتفاع الشمس.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝﴾ وأقسم كذلك بالليل إذا سجى، أي: الليل إذا غطى الأرض وسدل عليها ظلامه.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ جواب القسم، أي: ما تركك وأهملك وما قطعك قطع المودع، ولم يقطع عنك الوحي، بل أنت في عنايته ورعايته ـ سبحانه ـ.

﴿وَمَا قَلَىٰ ۝﴾ أي: وما أبغضك.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝﴾ هذه الجملة مؤكدة باللام، لام الابتداء، ولا زال ﷺ يصعد في درج المعالي في الدنيا، ويمكن له الله دينه وينصره على أعدائه، ويسدد له أحواله، ثم في الآخرة الجنة خير لك من الدنيا، هذا مع ما قد أوتي في الدنيا من شرف النبوة، والآخرة باقية، والدنيا فانية.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ .

﴿ وَلَسَوْفَ﴾ اللام هذه أيضاً للتوكيد، وهي موطئة للقسم.

﴿ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ أي: يعطيك ما يرضيك فترضى، الفتح في الدين، والثواب والحوض والشفاعة لأمته في الآخرة فترضى، ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة، وشرع في تعداد ما أفاضه الله عليه من النعم فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ ﴾ الاستفهام هنا للتقرير، يعني قد وجدك الله ـ تعالى ـ يتيماً فآواك يتيماً من الأب، ويتيماً من الأم، فإن أباه ﷺ توفي قبل أن يولد، فضمك إلى من يكفلك ويرعاك.

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَىٰ ۝ ﴾ .

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاً﴾ أي غير عالم، لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع، فهداك لذلك.

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلاً ﴾ أي: وجدك فقيراً ذا عيال لا تملك شيئاً.

﴿ فَأَغْنَىٰ ۝ ﴾ أي: أغناك وأغنى بك بما أعطاك من الرزق، وفي مقابل هذه النعم، عليك بشكرها وأداء حقها، فهو ـ سبحانه ـ قرر بنعم ثلاث، وأتبعهن بوصايا ثلاث: كل واحدة من الوصايا شكر النعمة التي قوبلت بها فإحداهن: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ ﴾ هذا في مقابلة ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ﴾ فلا تتسلط على اليتيم بالظلم لضعفه، بل ادفع إليه حقه، واذكر يُتمك.

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾ هذا في مقابل ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَىٰ ۝ ﴾ لا تنهر السائل إذا سألك، فقد كنت فقيراً، فإما أن تطعمه، وإما أن تردّه رداً ليناً، ويدخل في هذا السائل للعلم والسائل للمال.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ فقابلها بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ ۝﴾.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ نعمة الله ـ تعالى ـ على الرسول ﷺ التي ذكرت في هذه الآيات ثلاث نعم: وأمره الله ـ سبحانه ـ بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها بينهم، والتحدث بنعمة الله شكر.

والفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها: أن المتحدث بالنعمة مخبر عن صفات وليها ومحض جوده، وإحسانه، فهو مثن عليه بإظهارها والتحدث بها شاكر له، ناشر لجميع ما أولاه، مقصوده بذلك إظهار صفات الله ومدحه والثناء عليه، وبعث النفس على الطلب منه دون غيره، وعلى محبته ورجائه، فيكون راغباً إلى الله بإظهار نعمه ونشرها والتحدث بها، وأما الفخر بالنعم فهو أن يستطيل بها على الناس، ويريهم أنه أعز منهم وأكبر، فيركب أعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها إليه بالتعظيم والخدمة، وكذلك كسر قلوبهم والتفاخر بأنه هو المستحق لها دونهم.

تفسير سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ .

سورة الشـــرح سورة مكية، تتحدث عن مكانة الرسول الجليلة، ومقامه الرفيـــع عنـــد الله ـ تعالى ـ، وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها ما وقع للنبي ﷺ مـــن أحداث، فبينما كان النبي ﷺ وهو صغير يلعب مع الصبيان، إذ جاءه جبريل ـ عليه الســـلام ـ، فألقاه على ظهره ثم شرح (شق) صدره، واستخرج قلبه وشقه، وأخرج منه قطعة سوداء، وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غســـل قلبه بماء زمزم في طست من ذهب، ثم أعاده إلى مكانه، يقـــول أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: بقي أثر المخيط في صدره ﷺ، فحصل بذلك شـــرح صدر النبي ﷺ حســـياً بشقه وإخراج القطعة السوداء من قلبه، كما شـــرح صدره معنوياً بنور الإيمان والنبوة، وقد امتن الله على نبيه ﷺ ذلك، فقال سبحانه وتعالى:

* ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ .

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ هذا الاستفهام استفهام تقرير، ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ موضحاً ومبيناً نعمته على نبينه محمد، يا محمد، قد شرحنا لك

صدرك لقبول النبوة، ومن هنا قام بما قام به من الدعوة، وقدر على حمل أعباء النبوة وتكاليفها.

﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ﴾ وضعناه أي: طرحناه، وعفونا، وسامحنا، وتجاوزنا عنك، وقد غفر للنبي ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

﴿ وِزۡرَكَ ۝٢ ﴾ أي: إثمك.

﴿ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ ﴾ يعني: أقضه وآلمه وأثقله.

﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ هذا بشارة من الله ـ عز وجل ـ للرسول ﷺ ولسائر الأمة، فإن مع الضيقة سعة، ومع الشدة رخاء، ومع الكرب فرج.

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ أي: إن مع ذلك العسر المذكور سابقاً يسراً آخر، وهذا من نعم الله ـ عز وجل ـ.

﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ ﴾ أي: إذا فرغت من أعمالك وصلاتك، أو من التبليغ، فاجتهد في الدعاء، واطلب من الله حاجتك، أو: فانصب في العبادة.

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨ ﴾ أي: تضرع إليه وحده ـ سبحانه ـ رهباً من النار، راغباً في الجنة.

﴿ فَٱرۡغَب ۝٨ ﴾ أي: فانصب لعمل آخر، يعني اتعب لعمل آخر، واجعل رغبتك إليه خصوصاً، ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه، مفوضاً أمرك له.

تفسير سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ ﴾.

ســورة التين سورة مكية، امتن الله فيها على عباده أن خلقهم في أحسن صورة وأفضلها، مؤكداً بهذا نعم الله عليهم، ومؤكداً ومدللاً أن من خلق هذه الخلق وسواها قادر على بعث الإنسان بعد موته، كما أنه بحكمته وعدله خلق هذا الكمال في الإنســان ولم يتركه هملاً فلا يكلفه ولا يجازيه على عمله، فاقتضت حكمته ـ ســبحانه ـ أن يبعثهم ويجازيهم على أعمالهم، وابتدأت الســورة بالقسم بالبقاع المقدسة والأماكن المشرفة، التي خصها الله ـ تعالــى ـ بإنزال الوحي فيها على أنبيائه ورســله على أنه ـ تعالى ـ كرم الإنسان فخلقه في أجمل صورة، وأبدع شكل، قال تعالى:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ ﴾.

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ ﴾ أقسم الله ـ تعالى ـ بهذه الأشــياء الأربعة: التين، والزيتون، وطور ســينين، وهذا البلد الأمين يعني: مكة.

﴿وَٱلتِّينِ﴾ هو الثمر المعروف الذي يأكله الناس.

﴿وَٱلزَّيْتُونِ ۝﴾ الذي يعصرون منه الزيت، وأقسم الله بهما لبركتهما وعظيم منفعتهما، ولأنهما يكثران في فلسطين.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝﴾ أقسم الله به لأنه الجبل الذي كلم الله عنده موسى ﷺ وهو طور سيناء ذو الشجر الكثير، الحسن المبارك، سمي «سينين»، و«سيناء» الحسنة ولكونه مباركاً.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝﴾ أقسم الله بالبلد الأمين وهو مكة، لأنها أحب البقاع إلى الله، وأشرف البقاع عند الله ـ عز وجل ـ وهي البلد التي يأمن فيها من دخلها على نفسه وماله، كأنما يقسم الله ـ تعالى ـ بهذه المواضع الثلاثة لأنها مهابط وحي الله ـ تعالى ـ على موسى وعيسى ومحمد ـ عليهم السلام ـ، وفيها أنزلت الكتب السماوية الثلاثة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝﴾ هذا هو المقسم عليه، أقسم الله ـ تعالى ـ أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده، وخلقه عالماً متعلماً مدبراً حكيماً.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝﴾ هذه الردة التي ذكرها الله ـ عز وجل ـ تعني أن الله ـ تعالى ـ يرد الإنسان أسفل سافلين خِلقة، يرد إلى أرذل العمر، وهو الهرم والضعف بعد الشباب والفتوة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝﴾ هذا استثناء من قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝﴾ يعني: إلا المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين، لأنهم متمسكون بإيمانهم وأعمالهم، فيبقون عليها إلى أن يموتوا.

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: ثواب وجزاء.

﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ ﴾ غيـــر مقطوع، ولا ممنون به أيضاً، بل لذّات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة.

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾ أي: أي شـــيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء بعد هذا البيان وهذا الإيضاح، والاســـتفهام للتقريع والتوبيخ وإلزام الحجة.

﴿ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾ أي: بما أمر الله به من الدين.

﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ هذا الاستفهام للتقرير، يقرر الله ـ عز وجـــل ـ أنه أحكم الحاكمين قضاء وعدلاً، لا يجور ولا يظلم أحداً، وفيه وعيد شديد للكفار.

وفي هذا تقرير لمضمون الســـورة، من إثبات النبوة، والتوحيد، والمعاد، وحكمه بتضمن نصره لرســـوله على من كذبه، وجحد ما جاء به، بالحجة والقدرة والظهور عليه، وحكمه بين عباده في الدنيا بشرعه وأمره، وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه، وإن أحكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الأحكام بعدما ظهرت حكمته في خلق الإنسان في أحسن تقويم، ونقله في أطـــوار التخليق، حالاً بعد حال، إلى أكمل الأحوال، فكيف يليق بأحكم الحاكمين، أن لا يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته؟ وهل ذلك إلا قدح في حكمه وحكمته، ـ فسبحانه وتعالى ـ من حكيم.

تفسير سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

❊ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ۝ ﴾.

سورة اقرأ سـورة مكية، وهذه الآيات أول ما نزل على الرسول ـ عليه الصلاة والسـلام ـ من القرآن الكريم، نزلت عليه وهو يتعبد في غار حراء حيث كان يقضي الأيام والليالي متعبداً لله ـ عز وجل ـ منعزلاً عن الناس، فجـاءه جبريل فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال له:

❊ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ ﴾ أي: أقرأ يا محمد.

﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ قيل معناه مبتدئاً باسـم ربك، وقيل: مسـتعيناً باسـم ربك.

﴿ الَّذِي خَلَقَ ۝ ﴾ أي: خلق كل شيء، وفي هذا تذكير بالنعمة.

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ﴾ خص الله ـ تعالى ـ خلق الإنسـان تكريماً

للإنسان وتشريفاً له لما أودعه من عجائبه وآياته الدالة على ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وكمال رحمته، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه.

﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ اسم جمع علقة، كشجر اسم جمع شجرة، والعلق: عبارة عن دم جامد معلق في رحم المرأة، وهذا هو المنشأ الذي به الحياة، يبدأ نطفة ثم يتحول بقدره الله إلى علقة.

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ أي: من كرمه وجوده وإحسانه أن يمكنك من القراءة وأنت أمي، وقد دل على كمال كرمه أنه علَّم العباد ما لم يعلموا.

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ لأن التعليم بالقلم أكثر ما يعتمد الشرع، وهو الأكثر نفعاً والأطول بقاء، فما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة.

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ أي: علمه بالقلم من الأمور ما لم يعلم منها، فدل على كمال كرمه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

* ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ كَلَّآ ﴾ بمعنى حقاً.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ كل إنسان من بني آدم إذا رأى نفسه استغنى، فإنه يطغى ويتكبر ويتمرد، من الطغيان وهو مجاوزة الحد.

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ أي: من أجل أن رأى نفسه غنياً، وأصبح ذا ثروة ومال أشر وبطر، ثم توعده وتهدده بقوله:

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ أي: المرجع، أي: مهما طغيت أيها الإنسان وعلوت واستكبرت واستغنيت، فإن مرجعك إلى الله ـ عز وجل ـ بعد الموت.

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ ﴾ تعجب من حال هذه الرجل الذي ينهى عبداً إذا صلى، أي: أخبرني عن حال هذا الرجل.

﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾ الذي ينهى، هو أبو جهل، قيل له: إن محمداً يصلي عند الكعبة أمام الناس، يفتن الناس ويصدهم عن أصنامهم وآلهتهم، فمر به ذات يوم وهو ساجد فنهى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقال: لقد نهيتك فلماذا تفعل؟ فانتهره النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فرجع، ثم قيل لأبي جهل: إنه أي: محمداً ﷺ ما زال يصلي، فقال: والله لئن رأيته لأطأن عنقه بقدمي، ولأعفرن وجهه بالتراب، فلما رآه ذات يوم ساجداً تحت الكعبة وأقبل عليه يريد أن يبر بيمينه وقسمه، لما أقبل عليه وجد بينه وبينه خندقاً من النار وأهوالاً عظيمة، فنكص على عقبيه، وعجز أن يصل إلى رسول الله ﷺ.

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ ﴾.

﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ يعني: أخبرني أيها المخاطب إن كان هذا الساجد محمد ﷺ على الهدى فكيف تنهاه عنه.

﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ ﴾. أي: أو أمر غيره بالإخلاص والتوحيد والعمل الصالح الذي تتقى به النار.

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ ﴾ أي: الناهي بالحق.

﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه.

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ يعني يرى المنهي وهو الساجد محمداً ﷺ الآمر بالتقوى، ويرى هذا العبد الطاغية الذي ينهى عبداً إذا صلى.

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ هذه بمعنى حقاً، ويحتمل أن تكون للردع والزجر، والله لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية.

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ عما هو فيه من الضلال.

﴿ لَنَسْفَعًۢا ﴾ أي: لنأخذن بشدة.

﴿ بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ الناصية: شعر مقدم الرأس، نأخذها بشدة ويجر بها إلى النار.

﴿ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ أي: صاحبها.

﴿ كَـٰذِبَةٍ ﴾ أي: أنها موصوفة بالكذب في قولها.

﴿ خَاطِئَةٍ ﴾ أي: مرتكبة للخطأ عمداً في فعلها.

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ يعني: إن كان صادقاً وعنده قوة، وعنده قدرة فليدع ناديه، والنادي هو مجتمع القوم ومجلسهم. قيل: إن أبا جهل قال لرسول ﷺ: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً وقوماً وعشيرة! فنزلت.

﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ الزبانية ملائكة النار الغلاظ الشداد.

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾.

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ أي: لا تطع هذا الذي ينهاك عن الصلاة.

﴿ وَٱسْجُدْ ﴾ أي: صل لله واسجد ولا تبالي به غير مكترث به.

﴿ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ أي: اقترب من الله ـ عز وجل ـ بالطاعة والعبادة.

تفسير سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

❊ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ .

سورة القدر سورة مكية، تحدثت عن بدء نزول القرآن العظيم، وذكر الله ـ عز وجل ـ فيها من كرمه وجوده بعض ما خص به هذه الأمة من فضائل عظيمة، ولعلمه ـ سبحانه ـ بقصر أعمارهم، عوضهم من الأيام ما يوافي أجوراً عظيمة، ومن ذلك ليلة القدر التي العمل فيها خير من ألف شهر، فقال تعالى:

❊ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾ .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ الضمير هنا يعود إلى الله ـ عز وجل ـ، والهاء في قوله: ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ يعود إلى القرآن، الذي عظَّمه ـ سبحانه ـ حيث أسند إنزاله إليه دون غيره.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾ تبين أن ليلة القدر في رمضان، والقدر هو الشرف والفضل، ثم فخم شأنها، وعظم قدرها فقال:

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝﴾ تعظيم وتفخييم لأمرها، أي: ما أعلمك ليلة القدر وشأنها وشرفها وعظمها، وسميت ليلة القدر لأن الله ـ سبحانه ـ يقدر فيها ما شاء من أمره إلى السنة القابلة.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝﴾ أي: العمل فيها، وهي ليلة واحدة، خير من العمل في ألف شهر.

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ أي: تنزل شيئاً فشيئاً؛ لأن الملائكة سكان السموات، والسموات سبع، فتتنزل الملائكة إلى الأرض شيئاً فشيئاً حتى تملأ الأرض.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ هو جبريل ـ عليه السلام ـ، خصه الله بالذكر لشرفه وفضله.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ أي: بأمره ـ سبحانه وتعالى ـ.

﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝﴾ أي: بكل أمر، مما يأمرهم الله به.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي: هذه الليلة سلام، ووصفها الله ـ تعالى ـ بالسلام، لكثرة من يسلم فيها من الآثام وعقوباتها.

﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝﴾ تتنزل الملائكة في هذه الليلة حتى مطلع الفجر، أي: إلى مطلع الفجر وانبثاقه، وإذا طلع الفجر انتهت ليلة القدر.

تفسير سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾.

سورة البينة سـورة مدنية، ذكر الله فيها أحوال الأمم السابقة، فإنه قبل مبعث النبي ﷺ كان الناس يعيشـون في ظلمات الكفر والشرك من عبادة الأصنام والنجوم والكواكب والأشجار والأحجار، فبعث الله محمداً هادياً ومبشـراً بهذا الدين العظيم، دين الفطرة الـذي ارتضاه الله ـ عز وجل ـ لعباده، وابتدأت السـورة الكريمة بالحديث عن اليهود والنصارى، وموقفهم من دعوة رسـول الله ﷺ بعد أن بان لهم الحق وسـطعت أنواره، وبعد أن عرفوا أوصاف النبي المبعـوث آخر الزمان، وكانوا ينتظرون بعثته ومجيئه، فلما بعث خاتم الرسل كذبوا برسالته وكفروا وعاندوا، قال تعالى:

* ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ .

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾ .

﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾ يعني: ما كان الكفار.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بمحمد ﷺ.

﴿ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اليهود وكتابهم التوراة، والنصارى وكتابهم الإنجيل.

﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ المشركون هم عبدة الأوثان من كل جنس من بني إسرائيل ومن العرب ومن غيرهم.

﴿ مُنفَكِّينَ ﴾ أي: تاركين لما هم عليه من الشرك والكفر ولا منتهين عنه.

﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾ أي: إلى أن تأتي البينة؛ والبينة: ما يبين به الحق في كل شيء، وهو القرآن ومحمد ﷺ.

﴿ رَسُولٌ ﴾ هو النبي محمد ﷺ وذكره باسم الرسول تعظيماً له.

﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: أن الله أرسله إلى العالمين بشيراً ونذيراً.

﴿ يَتْلُوا۟ ﴾ يقرأ لنفسه وللناس.

﴿ صُحُفًا ﴾ جمع صحيفة، وهي الورقة أو اللوح أو ما أشبه ذلك مما يكتب به.

﴿ مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ﴾ أي: منقاة من الشرك والباطل، ومن رذائل الأخلاق، مصونة عن التحريف واللبس.

﴿ فِيهَا ﴾ أي: في هذه الصحف.

﴿ كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ كتب: أي مكتوبات قيمة من الآيات والأحكام، والقيمة: المستقيمة المستوية المحكمة.

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ أي: أن تفرقهم واختلافهم لم يكن لاشتباه الأمر، بل كان بعد وضوح الحق، وظهور الصواب، ثم بعث الله محمداً، فآمن به بعضهم وكفر آخرون.

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ ﴾ في الكتب المنزلة، وفي القرآن أيضاً، وهذا يبين أن الأديان السماوية أصلها واحد.

﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ليلتزموا بعبادة الله، وتكون عبادتهم له خالصة لا يشركون به شيئاً.

﴿ حُنَفَآءَ ﴾ مائلون من الشرك إلى التوحيد، مستقيمون على ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ودين محمد ﷺ.

﴿ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي: يفعلوا الصلوات في أوقاتها، ويعطوا الزكاة عند محلها، وخص الصلاة والزكاة؛ لأنهما من أعظم أركان الدين.

﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ أي: إن ذلك الدين هو دين الملة المستقيمة، من الإخلاص والصلاة والزكاة، فلا ينبغي التفرق عنه.

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

بين الله ـ تعالى ـ في أول السورة كفر اليهود والنصارى والمشركين، وأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا ينتظرون بعث النبي ﷺ، فلما بُعث تفرقوا فيه، فمنهم من آمن به، وكفر به أكثرهم، وكذلك الناس منهم المؤمن والكافر به ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهذه الآيات تبين مآل الفريقين

وجزاءهم، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ بين الله ـ تعالى ـ في هذه الآية بياناً مؤكداً بـ ﴿إِنَّ﴾ إن الذين كفروا من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، والمشركين وهم عباد الأوثان والأصنام وغيرها.

﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: في النار التي تسمى جهنم، وسميت جهنم، لبعد قعرها وسوادها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ لا يفتّر عنهم العذاب، ولا يخرجون منها ولا يموتون.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ أي: شر الخليقة حالاً، لأنهم عرفوا الحق وتركوه وخسروا الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ خير خلق الله ـ عز وجل ـ هم الذين آمنوا به وبرسله وعملوا الصالحات التي أمروا بها.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قدم الله الثناء على المؤمنين الذين عملوا الصالحات على ذكر جزائهم، ثم ذكر جزاءهم.

﴿جَنَّٰتُ﴾ جمعها لاختلاف أنواعها.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ العدن بمعنى الإقامة والاستقرار في المكان وعدم النزوح عنه.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من تحت قصورها وأشجارها، وإلا فهو على سطحها وليس أسفل.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: ماكثين فيها أبداً، لا يموتون ولا يمرضون، ولا ييأسون، ولا يألمون، ولا يحزنون، ولا يمسهم فيها نصب، وهم في

نعيم دائم لا ينقطع.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ وهذا أكمل نعيم، أن الله ـ تعالى ـ يرضى عنهم، فيحل عليهم رضوانه فلا يسخط بعده أبداً، ورضوا عنه بما أكرمهم به من النعيم.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ أي: ذلك الجزاء والإحسان والرضا، حاصل لمن خشي الله ـ عز وجل ـ، والخشية هي خوف الله ـ عز وجل ـ المقرون بالهيبة والتعظيم.

تفسير سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ .

سورة الزلزلة سورة مكية، ذكر الله فيها من عظيم صنعه في الكون، أن الأرض مستقرة لا تتحرك ولا تضطرب حتى يعيش عليها الإنسان عيشة طيبة هنية، وفي يوم القيامة تتبدل الأحوال وتتغير الأوضاع فتضطرب الأرض وتهتز، ويندك كل صرح شامخ، وينهار كل جبل راسخ، وتخرج الأرض ما في جوفها من الأجساد والكنوز، كما قال تعالى:

* ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ .

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ أي: اضطربت اضطراباً شديداً، وحُركت حركة عنيفة.

﴿ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾ يعني الزلزال العظيم الذي لم يكن مثله قط.

﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ ﴾ ما في جوفها من الأموات وأصحاب القبور والكنوز وغيرها.

﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ ﴾ يعني: أن الإنسان البشر إذا رأى ما جرى

لها من الأمر العظيم مستعظماً لذلك متعجباً، يقول: ما لها؟ ولأي شيء زلزلت وأخرجت أثقالها؟

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في ذلك اليوم إذا زلزلت.

﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ أي: تخبر الأرض عما فعل الناس عليها من خير أو شر، يُنطقها الله ـ سبحانه ـ لتشهد على العباد.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ أي: تحدث أخبارها بوحي الله وأمره لها بأن تتحدث وتشهد.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يومئذ تزلزل الأرض زلزالها.

﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: يرجع الخلائق من موقف الحساب، وينصرفون متفرقين فرقاً فرقاً، وجماعات جماعات، متفرقين يصدرون من قبورهم كل يتجه إلى مأواه.

﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾﴾ يصدرون أشتاتاً فيروا أعمالهم، يريهم الله ـ تعالى ـ أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ في الدنيا.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يعني وزن ذرة، والمراد بالذرة: صغار النمل كما هو معروف.

﴿خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ يوم القيامة.

﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ في الدنيا.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ يوم القيامة فيسوؤه.

وفي الآيات غاية الترغيب في فعل الخير ولو كان قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو كان حقيراً.

تفسير سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝ ﴾ .

سورة العاديات سورة مكية، يُذكر الله ـ عز وجل ـ عباده فيها بيوم القيامة، وموقف الجزاء والحساب، ليكون الناس على أهبة الاستعداد، ولا تشغلهم الدنيا عن الآخرة، والفانية عن الباقية، وفي هذه السورة يقسم الله ـ سبحانه ـ بخيل المعركة، ويصف حركتها واحدة واحدة، منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفأجاة العدو، مثيرة للنقع والغبار، وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب، قال تعالى:

* ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝ ﴾ .

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝ ﴾ هذا قسم من الله ـ عز وجل ـ.

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ﴾ المراد بها الخيل التي تعدو بفرسانها المجاهدين في سبيل الله .

﴿ضَبۡحٗا ۝١﴾ الضبح: ما يسمع من أجواف الخيل حين تعدو بسرعة.

﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢﴾ الموريات: من أورى أو ورى بمعنى قدح، هي الخيل حين توري النار فيخرج الشرر بحوافرها إذا ضربت بها الأرض الشديدة كالقدح بالزناد.

﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣﴾ أي: التي تغير على عدوها في الصباح.

﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ﴾ أي: أثرن بعدوهن وغارتهن.

﴿نَقۡعٗا ۝٤﴾ وهو الغبار الذي يثور من شدة السعي.

﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ﴾ أي: براكبهن.

﴿جَمۡعًا ۝٥﴾ أي: توسطن به جموعاً من الأعداء الذين أغار عليهم.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ هذا جواب القسم.

﴿لَكَنُودٞ ۝٦﴾ أي: كفور لنعمة الله ـ عز وجل ـ الكثير الجحد لها.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧﴾ أي الإنسان، يشهد على نفسه بالجحد والكفران، لظهور أثره عليه.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ أي: الإنسان لحب المال قوي، مجد في طلبه وتحصيله، وحبه لذلك هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة، قدم شهوة نفسه على حق ربه.

﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾ الإنسان ويتيقن فيعمل لذلك، ولا يكن همه المال، والاستفهام للإنكار.

﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩﴾ نشر وأظهر، فإن الناس يخرجون من قبورهم لرب العالمين لحشرهم ونشورهم.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ أي: ما في القلوب من النيات وما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار الشر علانية والباطن ظاهراً.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ أي: إن الله ـ عز وجل ـ

﴿بِهِمْ﴾ أي: بالعباد.

﴿لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ أي: يوم الجزاء والحساب، خبير بهم لا تخفى عليه منهم خافية في ذلك اليوم وفي غيره.

تفسير سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ .

سورة القارعة سورة مكية، ذكر الله فيها يوم القيامة يوم الجزاء والحساب ويوم الفصل بين العباد، يوم توزن فيه أعمال الخلائق؛ فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته أدخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته أدخل النار، وسورة القارعة تقرر هذه الأمر للاستعداد والتأهب، ومن قبلُ التوبة والامتثال والطاعة لرب الأرباب، وسورة القارعة كلها عن يوم القيامة، حقيقتها، وما يقع فيها، وما تنتهي إليه، فهي تعرض مشهداً من مشاهد القيامة، كخروج الناس من قبورهم وانتشارهم في ذلك اليوم الرهيب كالفراش المتطاير، المنتشر هنا وهناك، يجيئون ويذهبون على غير نظام من شدة حيرتهم وفزعهم، وذكر الله ـ عز وجل ـ فيها نسف الجبال وتطايرها، قال تعالى:

* ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ .

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝﴾ اسم فاعل من قرع، والمراد: التي تقرع القلوب وتفزعها وذلك عند النفخ في الصور، والقارعة من أسماء القيامة.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝﴾ هذا زيادة في التفخيم والتعظيم والتهويل، للالتفات والتنبيه لهذا اليوم العظيم، أي: القيامة وأي شيء القيامة؟

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝﴾ أي: يكون الناس من شدة الفزع والهول كالفراش: وهو الحشرة الطائرة المعروفة التي تتساقط على الضوء ليلاً.

﴿ٱلْمَبْثُوثِ ۝﴾ يعني المتفرق المنتشر، والمعنى: أن الناس في يوم القيامة يسيرون على غير هدى في كل اتجاه لشدة الهول حتى يحشروا إلى الموقف.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝﴾ هذا هو الوصف الثاني من صفات ذلك اليوم المهول، أي: تصير وتتحول الجبال العظيمة الراسية إلى عهن منقوش، أي: تكون كالصوف الذي نُفش بالندف، والمنفوش: المبعثر الذي تفرقت أجزاؤه.

ثم ذكر ـ سبحانه ـ أحوال الناس عند المحاسبة في الموقف، وتفرقهم فريقين على جهة الإجمال.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝﴾.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝﴾ فإن من ثقلت موازينه وهي أعماله الصالحة، رجحت حسناته على سيئاته.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝﴾ في الجنة، إنها عيشة طيبة ليس فيها نكد، وليس فيها صخب، وليس فيها نصب، كاملة من كل وجه في جنات الخلد والنعيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ إما أنه الكافر الذي ليس له أي حسنة، لأن حسنات الكافر يجازى بها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة، أو أنه مسلم ولكنه مسرف على نفسه وسيئاته أكثر.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ يعني: أن مسكنه ومآله إلى نار جهنم، والهاوية من أسماء النار حيث يهوي فيها الكافر.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ هذا من باب التفخيم والتعظيم لهذه الهاوية.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ أي: قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الغاية.

تفسير سورة التكاثر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

❊ ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾ .

ســـورة التكاثر سورة مكية، ذكــر الله ـ عز وجل ـ فيها ما يُلهي العباد عــن طاعته وعبادتـــه، وحذرهم من هذا الطريق، وبـــين لهم، وقد تكرر في هذه الســـورة الزجر والإنذار تخويفاً للناس، وتنبيهاً لهم على خطئهم، باشتغالهم بالفانية عن الباقية، قال ـ تعالى ـ لمن أعرض عن طاعته وألهته الدنيا:

❊ ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾ .

﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝ ﴾ .

﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ﴾ أي: شغلكم أيها الناس على وجه لا تعذرون فيه عن طاعة الله وأنساكم عبادته.

﴿ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ ﴾ . يشمل التكاثر بالمال، والتكاثر بالقبيلة، والتكاثر بالجاه، والتكاثـــر بالعلم، والتكاثر بالأولاد، وبـــكل ما يمكن أن يقع فيه التفاخر. واستمرت هذه الغفلة وهذا الانشغال.

﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ يعني: إلى أن زرتم المقابر، يعني: حتى أدرككم الموت ودفنتم في المقابر وأنتم على تلك الحال.

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾، بمعنى الردع يعني: ارتدعوا عن هذا التكاثر، وقيل: إنها بمعنى حقاً.

﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: سوف تعلمون عاقبة أمركم إذا رجعتم إلى الآخرة، وأن هذا التكاثر لا ينفعكم.

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ تأكيداً لهذا الأمر.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ يعني: حقاً لو تعلمون علم الحق لعرفتم أنكم في ضلال، ولو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾.

﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾ أي: أُقسم وأوكد بأنكم ستشاهدون وتبصرون بالعين.

﴿ ٱلْجَحِيمَ ﴾ في الآخرة، والجحيم اسم من أسماء النار.

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ تأكيداً لرؤيتها ومشاهدتها.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾: أي عن نعيم الدنيا الذي ألهاكم عن العمل للآخرة، فيسأل عن الأمن، والصحة، والفراغ، وعن شرب الماء البارد على الضمأ، وظلال المساكن، وغير ذلك من النعم.

تفسير سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ③ ﴾ .

ســـورة العصر ســـورة مكية، ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها أنه خلق الخلق لعبادته وإقامة شرعه، والإنسان في هذه الدنيا بين أمرين؛ إما القيام بما أمر الله ـ عز وجل ـ به فقد أفلح ونجا، وإما التمرد والعصيان ومخالفة أمره ـ سبحانه ـ فقد خاب وخسر، قال تعالى:

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ② ﴾ أقســم الله ـ تعالــى ـ بالعصر، والعصــر قيل: إن المراد به آخــر النهار؛ لأن آخر النهار أفضله، وقيل: إن العصر هو الدهر لما فيه من الصبر من جهة مرور الليل والنهار على التقدير، وتعاقب الظلام والضياء، وما في ذلك من استقامة الحياة ومصالح الأحياء، فــإن ذلــك دلالة بينة على الصانع ـ عز وجــل ـ وعلى توحيده؛ على أن جنس الإنسان في خسارة ونقصان إلا من اتصف بالأوصاف الأربعة وهي: الإيمــان، والعمل الصالح، والتواصي بالحــق، والاعتصام بالصبر، وهي أسس الفضيلة، وأساس الدين، ولهذا قال الإمام الشافعي: لو لم ينزل الله سوى هذه السورة لكفت الناس، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ أي: كل إنسان.

﴿ لَفِي خُسۡرٍ ② ﴾ لفي هلاك؛ فكأن الإنسان منغمس في الخسر، والخسران محيط به من كل جانب.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ استثنى الله ـ سبحانه وتعالى ـ هؤلاء المتصفين بهذه الصفات الأربع وهم:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أهل الإيمان والتصديق الذي لا يخالجه شك ولا تردد.

﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: أنهم قاموا بالأعمال الصالحة: من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وبر للوالدين، وصلة الأرحام وغير ذلك.

﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: صار بعضهم يوصي بعضاً بالحق، والحق: هو التوحيد والإيمان وأداء الطاعات وكل ما أمر به الشرع، والتواصي بالحق أمر مطلوب، فالنهوض بالحق عسير، والمعوقات عن الحق كثيرة تحتاج إلى تواص وتعاضد.

﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ أي: يوصي بعضهم بعضاً بالصبر، والصبر حبس النفس عما لا ينبغي فعله.

فبالأمرين الأولين يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم.

تفسير سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝ ﴾ .

سورة الهمزة سورة مكية، ذكر الله فيها أحوال بعض العباد؛ فإن من تأمل في حال الناس وأخلاقهم يجد التفاوت العجيب، وأنزل الله ـ عز وجل ـ هذا القرآن مقرراً للشريعة رافعاً راية التوحيد، مهذباً للأخلاق وحسن التعامل وطيب الفعال بين المسلمين، وفي هذه السورة ذم الله ـ عز وجل ـ الطعن في أعراض الناس وأنسابهم ودناءه من فعل ذلك، وأن له الوعيد الشديد والعقوبة العظيمة إن احتقر أو استهزأ وطعن في أنساب المسلمين وأعراضهم على وجه التنقص والازدراء، وذم الله ـ عز وجل ـ في السورة الذين يشتغلون بجمع الأموال وتكديس الثروات كأنهم مخلدون في هذه الحياة، وختمت بذكر عاقبة هؤلاء التعساء الأشقياء، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ .

﴿ وَيْلٌ ﴾ كلمة خزي وعذاب ووعيد، وقيل: واد في جهنم أي: خزي أو عذاب أو هلكه للهمزة، وهو الذي يغتاب الناس، ويطعن في أعراضهم، ويظهر عيوبهم، ويحقر أعمالم.

﴿ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ﴾ فالهمز: بالفعل. واللمز: باللسان.

ثم ذكر الله صفة هذه الهماز اللماز أنه لا هم له إلا جمع المال، والهمزة واللمزة من الفخر، والكبر، وجمع المال وتعديده من البخل.

﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝ ﴾ هــذه أيضاً مــن أوصافه القبيحة جمّاع مناع، يجمع المال، ويمنع العطاء، فهو بخيل لا يعطي، يجمع المال ويعدده ويرى أنه له به الفضل فلأجل ذلك يستقصر غيره.

﴿ وَعَدَّدَهُۥ ۝ ﴾ يعني أكثر تعداده لشــدة شــغفه ومحبته له، يخشى أن يكون نقص، أو يريد أن يطمئن زيادة على ما سبق فهو دائماً يعد المال.

﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝ ﴾ يعني: يظن هذا الرجل أن ماله ســيخلده ويبقيه، أخلد ذكره أو أطال عمره، فلا يفكر في ما بعد الموت من الحساب والجزاء، أو أنه مانع له من الموت.

﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ ﴾.

﴿ كَلَّا ۖ ﴾ أي: ليرتدع عن هذا الظن، ليس الأمر على ما يحسبه ويظنه، لا يخلد ماله ولا يبقى له، بل.

﴿ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ ﴾ ليطرحن طرحاً هو وماله في النار التي تهشــم كل ما يلقى فيها وتحطمه، والحطمة من أسماء النار.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ ﴾ أي: وما أعلمك ما النار والحطمة.

﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ﴾ المسجّرة المسعرة.

﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ ﴾ أي: يخلــص حرها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها.

﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم ﴾ أي: الحطمــة، وهــي نار الله المؤقــدة، أي على الهمَّاز واللمَّاز الجمَّاع للمال المناع للخير.

﴿ مُّؤْصَدَةٌ ۝ ﴾ مطبقة، مغلقة الأبواب لا يُرجى لهم فرج.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ أي: أن هـذه النار مؤصدة، عليها أعمدة ممدة؛ أي ممدودة على جميع النواحي والزوايا حتى لا يتمكن أحد من فتحها أو الخروج منها.

تفسير سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ .

ســورة الفيل سورة مكية، ذكر فيها ـ ســبحانه ـ فضله العظيم وآلائه الكثيــرة، ويذكر هنا ـ عز وجــل ـ لكفار قريش فضله ومنته عليهم عندما أراد أبرهة الحبشــي أن يبني باليمن كنيســة ليصرف الناس إلى حجها دون البيت الحرام، فقام أحد العرب فلطخها بالقذر ليلاً، فعزم أبرهة على هدم الكعبة، وســار بجيش عظيم إلى مكة ومعه الفيل إلى أن دنا من المســجد الحرام، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم، أرسل الله ـ تعالى ـ عليهم وعلى جيشــهم مامنعهم من هدمها أو التعرض لها، وأبقاها على حالها نعمة منه على أهل مكة، ونكالاً منه لرد من يعتدي على بيته، فقال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ ﴾ أي: ألم تعلم؛ يخاطب الله ـ تعالــى ـ النبــي ﷺ أو يخاطب كل من يصح توجيه الخطاب إليه، يقرر ما فعل ـ ســبحانه وتعالى ـ بأصحاب الفيل، وأصحاب الفيل هم قوم من أهل اليمن من النصارى من الأحباش جاؤوا لهدم لكعبة بفيل عظيم أرسله إليهم ملك الحبشة.

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أي: ألم يجعل الله ـ تعالى ـ مكرهم وحيلتهم وسعيهم في تخريب الكعبة، وضلالاً منهم أدى بهم إلى الهلاك فلم يصلوا إلى مرادهم وهدفهم وغايتهم.

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ جماعات متفرقة يتبع بعضها بعضاً، وهي طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً، مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، لا يصيب شيئاً إلا هشمه.

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ قالوا: هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم، مكتوب فيها أسماء القوم، فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري، وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة.

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ أي: جعلهم كزرع أكلته الدواب ووطئته بأقدامها حتى تفتت، والعصف: هو ورق الزرع اليابس الذي يبقى بعد الحصاد.

وهذا القصة تدل على كرامة الله للكعبة، وفيها عجائب وغرائب من قدرة الله على الانتقام من أعدائه بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عاداتها أن تقتل.

تفسير سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝ ﴾ .

ســورة قريش ســورة مكية، وفي كثير من الســور والآيات يعدد الله ـ عز وجل ـ نعمــه على عباده ليوحدوه ويعبدوه ويعرفوا قدر نعمه عليهم، وفي هذه الســورة يمــتن الله ـ عز وجل ـ أن جعل بيتــه الحرام آمناً وأهله كذلك آمنين، فكان الأمن والاستقرار لهم راحة وطمأنينة وسعة رزق وغنى ويسراً، ومن ذلك رحلتهم التجارية التي تكون في الصيف إلى الشام، وفي الشتاء إلى اليمن، وما يحصل لهم من منافع تجارية وعائدات عظيمة؛ فكان من الواجب شكر المُنعم على نعمه بطاعته وعبادته، قال تعالى:

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝ ﴾ .

﴿ لِإِيلَٰفِ ﴾ الإيلاف الألفة والتعود؛ يراد به التجارة التي كانت تقوم بها قريش أهل مكة مرة في الشتاء، ومرة في الصيف، أما في الشتاء فيتجهون نحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه، ولأن الجو مناسب، وأما في الصيف فيتجهون إلى الشــام لأن غالب تجارة الفواكه وغيرها تكون في هذا الوقت في الصيف مع مناســبة الجو البارد، وامتن الله ـ عز وجل ـ عليهم بهاتين الرحلتين وتيسيرها لهم.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ﴾ شكــراً لــه علــى هــذه النعمة ليعبــدوه ـ ســبحانه ـ، وهو رب هذا البيت الكعبة، وهم بهذا البيت تشــرفوا على

سائر العرب؛ وليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة الجليلة التي خصَّهم بها.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾ هذه صفة للرب.

﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ الذي أطعمهم بسبب هاتين الرحلتين، خلصهم من جوع شديد وخوف كانوا فيهما قبلهما، وأوسع لهم في أرزاقهم.

وبين الله نعمته عليهم، النعمة الظاهرة والباطنة، فإطعامهم من الجوع وقاية من الهلاك في أمر باطن، وهو الطعام الذي يأكلونه.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ نجاهم وسلمهم؛ وقاهم وأمنهم من الخوف إذ كانت البلاد محوطة بالعدو.

وكانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها بعضاً، فأمنت قريش من ذلك لمكان البيت العتيق.

تفسير سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝﴾.

سورة الماعون سورة مكية؛ وقد تميز الإسلام بأنه الدين الخالص لله، وأنه أيضاً دين التواصل والتعاطف والرحمة. وقد جمع الله ـ عز وجل ـ بين عبادته وبين الرحمة والعطف على الأيتام والفقراء والتذكير بحق المسكين والفقير في هذه السورة، فقال سبحانه:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝﴾.

﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهام للتعجب والتشويق أي: هل علمت؛ الخطاب للرسول ﷺ، لأنه الذي أنزل عليه القرآن؟ وعام لكل من يتوجه إليه الخطاب.

﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝﴾ أي: أأبصرت المكذب بالحساب والجزاء والبعث والنشور فإن من أفعاله وأعماله، ما يلي:

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝﴾.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝﴾ أي: يدفعه ويزجره بعنف.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝﴾ المسكين: الفقير المحتاج إلى الطعام، فهو لا يحض ولا يحث نفسه ولا أهله ولا غيرهم على طعام المسكين بخلاً بالمال وشحاً به.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝﴾ ويل: هذه كلمة وعيد، وهي تتكرر في القرآن

كثيراً، أي: فويل للملتزمين لإقامة الصلاة ولكنهم:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ﴾ مصلون، يصلون مع الناس، أو أفراداً لكنهم.

﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ غافلون عنها، لا يقيمونها على ما ينبغي، يؤخرونها عن الوقت الفاضل، لا يقيمون ركوعها، ولا سجودها، ولا قيامها، ولا قعودها، لا يقرأون ما يجب فيها من قراءة سواء كانت قرآناً أو ذكراً، إذا دخل في صلاته فهو غافل، قلبه يتجول يميناً وشمالاً، فهو ساه عن صلاته.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝﴾ هم المنافقون، يراءون الناس بصلاتهم إن صلوا، أو يراءون الناس بكل ما عملوه من أعمال البر ليثنوا عليهم، وهم بهذا لا يريدون وجه الله والدار الآخرة، إنما يريدون المدح والثناء من الناس.

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝﴾ أي: يمنعون ما يجب بذله من المواعين وهي الأواني، وما يحتاجه الناس من الدلو والفأس والقدر، وهذا من الشح والبخل وعدم النفع للآخرين، يعني يأتي الإنسان إليهم يستعير آنية فيمنعونها عنه. وقيل: يمنعون الزكاة المفروضة.

فلاهم أحسنوا في عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، فاستحقوا الوعيد الشديد.

تفسير سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝ ﴾.

سورة الكوثر سورة مكية؛ ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها أنه اختار محمداً نبياً ورسولاً واصطفاه على جميع خلقه، وجعل له المكانة العالية الرفيعة، ولما قدم كعب بن الأشرف اليهودي إلى مكة، قالت قريش له: أنحن خير أم محمد؟ فقال: أنتم خير منه، فأنزل الله في شأنه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝ ﴾ [النساء: ٥١] ولما وصف العاص بن وائل النبي ﷺ بأنه أبتر أنزل الله في شأنه: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝ ﴾، ليعظم منزلة النبي، وأنه صاحب الرسالة والمكانه الرفيعة، وختمت السورة ببشارة الرسول ﷺ بخزي أعدائه، ووصفت مبغضيه بالذلة والحقارة، والانقطاع من كل خير في الدنيا والآخرة، بينما ذكر الرسول مرفوع على المنائر والمنابر، واسمه الشريف على كل لسان، خالدٌ إلى آخر الدهر والزمان، قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ ﴾ الخطاب للرسول ﷺ تكريماً لمقامه الرفيع وتشريفاً أي: الله ـ عز وجل ـ تفضل عليك وأعطاك الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة، ومن هذا الخير نهر الكوثر.

﴿ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ هو الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة، جعله الله كرامة لرسول الله ﷺ ولأمته.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ شكراً لله على هذا النعمة العظيمة، وهذا العطاء الجزيل أن تصلي وتنحر لله، لا تصرف شيئاً منها لغيره ـ سبحانه وتعالى ـ.

﴿وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ تقرب إليه بالنحر للإبل وغيرها، وخص هاتين العبادتين بالذكر لأنهما من أفضل العبادات وأجلّ القربات.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك، والشنئان هو البغض.

﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ الأبتر: اسم تفضيل من بتر بمعنى قطع، يعني هو الأقطع. المنقطع من كل خير، والأبتر من الرجال الذي لا ولد له.

قال المفسرون: لما مات «القاسم» ابن النبي ﷺ قال العاصي بن وائل: دعوة فإنه رجل أبتر لا عقب له ـ أي لا نسل له ـ فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه السورة، وأخبر ـ تعالى ـ أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد، لأنه مبتور من رحمة الله ـ أي مقطوع عنها ـ ولأنه لا يُذكر إلا ذكر باللعنة، بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر، مرفوع على المآذن والمنابر، مقرون بذكر الله ـ تعالى ـ، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كالوالد لهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

تفسير سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝ ﴾ .

سورة الكافرون سورة مكية؛ هي سورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال. ذكر الله ـ عز وجل ـ، فيها أنه لا يجوز صرف العبادة لغيره ـ عز وجل ـ وقد كان النبي ﷺ يعلن دعوته على الملأ أن لا معبود بحق إلا الله. وقيل: أن قريشاً من جهلها وطغيانها دعت النبي ﷺ إلى عبادة أوثانها سنة، ويعبدون الله سنة، فأنزل الله هذه السورة، ولم تكن العرب تجحد وجود الله ـ عز وجل ـ وأنه الخالق الرازق المدبر، لذا فهم يحجون ويتصدقون وينفقون، لكنهم جعلوا مع الله إلهاً آخر شريكاً له في العبادة. فأنزل الله هذه السورة لتعلن الدين كله لله لا شريك له، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ ﴾ أي: قل يا محمد وأعلن لهم بالنداء، وهذا يشمل كل كافر سواء كان من المشركين أو من اليهود، أو من النصارى.

﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ ﴾ أي: لا أعبد الذين تعبدونهم، وهم الأصنام وأتبرأ منهم ظاهراً وباطناً.

﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ ﴾ أنا لا أعبد أصنامكم، وأنتم لا تعبدون الله، ولستم أنتم ما دمتم على شرككم وكفركم عابدين لله الواحد الأحد الذي أعبده.



﴿ وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ ﴾ أي: ولا أعبد في مستقبل أيامي وما يأتي من عمري لن أعبد شيئاً من آلهتكم الباطلة التي تعبدونها.

﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ ﴾ قد يظن الظان أن هذه مكررة للتؤكيد، وليس كذلك لأن الصيغة مختلفة أي: لن تعبدوا الله في مستقبل أيامكم ما دمتم على كفركم وعبادتكم للأصنام، فعبادتي ليست كعبادتكم، وعبادتكم ليست كعبادتي.

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ الذي أنتم عليه وتدينون به.

﴿ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ أي: ولي ديني الذي لا أبغي غيره، فأنا بريء من دينكم، وأنتم بريئون من ديني، وهذا غاية في التبرؤ من عبادة الكفار، والتأكيد على عبادة الواحد القهار.

تفسير سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝ ﴾.

سورة النصر سورة مدنية؛ فيها البشارة أن دين الله عزيز منصور على مر الأزمان والعصور، وامتن الله ـ عز وجل ـ فيها على نبينا محمد ومن معه من الصحابة بنصر عظيم، ألا وهو فتح مكة وإزالة الأصنام والأوثان، ودخول القبائل بعد ذلك في دين الله أفواجاً، وبهذا الفتح المبين ارتفعت راية الإسلام، واضمحلّت ملة الأصنام، وكان الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه، من أظهر الدلائل على صدق نبوته ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، قال سبحانه:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ.

﴿ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ النصر هو العون والتأييد، وهو نصر الله يجيء به الله، وهو تسليط الله الإنسان على عدوه بحيث يتمكن منه ويخذله ويكبته.

﴿ وَٱلْفَتْحُ ۝ ﴾ معطوف على النصر، وعطفه على النصر مع أن الفتح من النصر تنويه بشأنه، والمراد بالفتح: فتح مكة.

﴿ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ ﴾ أي: جماعات جماعات، بعد أن كانوا يدخلون فيه أفراداً، فإنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل الناس في دين الله أفواجاً وجماعات حتى كانت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام، والمعنى: إذا نصرك الله يا محمد على أعدائك، وفتح عليك مكة.

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ أي: سبحه تسبيحاً ونزه تنزيهاً عما لا يليق به مقروناً بالحمد والاستغفار، وفيه الجمع بين تسبيح الله المؤذن بالتعجب مما يسره الله مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس، وبين الحمد له على جميل صنعه له وعظيم منته عليه بالنصر والفتح لمكة ودخول الناس أفواجاً.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ يعني: اسأله المغفرة تواضعاً لله واستقصاراً لعملك، والاستغفار من التقصير في حمد الله وشكره، فجهد الإنسان مهما كان ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة العطاء والخير. وفي هذا إشارة إلى شكر الله على نصره وتأييده، وإظهار نعمة المنعم على عباده بالنصر والتأييد.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ من شأنه التوبة على المستغفرين له، يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم.

فإن الاستغفار يتضمن وقاية شر الذنوب، وفي هذا ترغيب في الاستغفار، وحث على التوبة والأوبة، فهو ـ سبحانه ـ أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وهذه السورة الكريمة فيها نعيُ النبي ﷺ ولهذا تسمى سورة «التوديع» وحين نزلت قال رسول الله ﷺ لعائشة: «**ما أراه إلا حضور أجلي**»، وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] الآية، فعاش بعدهما النبي ﷺ ثمانين يوماً.

تفسير سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝﴾.

سورة المسد سورة مكية، فيها صور مما لاقاه النبي ﷺ حين قام بأمر الدعوة من الأذى والمشقة، فإنه ﷺ قام بالدعوة إلى الله خير قيام، وبذل في سبيلها الغالي والنفيس، ولما أنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ الصفا فنادى: «**يا صباحاه**» فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ قال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟**» قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ـ عز وجل ـ هذه السورة التي تحدث فيها عن هلاك «أبي لهب» عدو الله ورسوله، قال تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾ وهذا رد على أبي لهب حين جمعهم النبي ﷺ ليدعوهم إلى الله فبشر وأنذر، والمعنى: هلكت يداه وخسرت وخابت، والتباب الخسار.

﴿وَتَبَّ ۝﴾ أي: وهلك هو.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾.

﴿مَآ﴾ للنفي أي: لم يدفع عنه.

﴿ مَالُهُۥ ﴾ أي: ما جمع من مال ولا ما كسب من ربح وجاه ما حل به من التباب والخسران.

﴿ وَمَا كَسَبَ ۝ ﴾ قيل المعنى: وما كسب من الولد أو من مال.

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ ﴾ أي: سوف يعذب في النار الملتهبة ويجد حرها ويذوقه، تحرق جلده، وهي ذات اشتعال وتوقد، وهي نار جهنم تحيط به من كل جانب.

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ ﴾ يعني: كذلك امرأته معه، وهي امرأة من أشراف قريش، لكن لم يغن عنها شرفها شيئاً لكونها شاركت زوجها في العداء والإثم، والبقاء على الكفر، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان.

﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ ﴾.

﴿ حَمَّالَةَ ﴾ صيغة مبالغة أي: تحمله بكثرة.

﴿ ٱلْحَطَبِ ۝ ﴾ وذكروا أنها كانت تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ من أجل أذى الرسول ﷺ.

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝ ﴾ المسد الليف الذي تفتل منه الحبال؛ كانت لها قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللات والعزى لأنفقنّها في عداوة محمد، فيكون جزاؤها أن يجعل في عنقها ذلك الحبل يوم القيامة مكان قلادتها جزاءً وفاقاً.

تفسير سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾.

سورة الإخلاص سورة مكية؛ تعدل ثلث القرآن، قال ﷺ: **«من قرأ «قل هو الله أحد» فكأنما قرأ بثلث القرآن»** [رواه أحمد والنسائي].

وفي السورة ذكر بعض صفات الله ـ عز وجل ـ الواحد الأحد، الجامع لصفات الكمال، المقصود على الدوام، الغني عن كل ما سواه، المتنزه عن صفات النقص، وعن المجانسة والمماثلة، وردت على النصارى القائلين بالتثليث، وعلى المشركين الذي جعلوا لله الذرية والبنين.

وسبب نزولها مارواه الترمذي عن أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك: أي اذكر لنا نسبه، فنزلت هذه السورة.

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ أي: قل يا محمد قولاً جازماً؛ إن الله أحد، أي: واحد لا شريك له المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا.

﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ أي: هو الله الذي تتحدثون عنه وتسألون عنه.

﴿ أَحَدٌ ۝ ﴾ أي: متوحد بجلاله وعظمته، ليس له مثيل، وليس له شريك في ذاته وصفاته وأفعاله، بل هو متفرد بالجلال والعظمة ـ عز وجل ـ.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ أي: الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والغني الذي قد كمل في غناه، المقصود في قضاء الحوائج.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لم يتخذ ولداً، وليس له أبناء وبنات لأنه ـ جل وعلا ـ لا مثيل له، ولكمال غناه.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ لأنه ـ عز وجل ـ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟!

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ أي: لم يكن له أحد مساوياً في جميع صفاته، فهو ـ سبحانه ـ لا يساويه أحد ولا يماثله، ولا يكافئه ولا يشاركه أحد في شيء من صفات كماله.

* وهذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله ـ جل وعلا ـ عن صفات العجز والنقص، فقد أثبتت الآية الأولى الواحدانية، ونفت التعدد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وأثبتت الثانية كماله ـ تعالى ـ، ونفت النقص والعجز ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، وأثبتت الثالثة أزليته وبقاءه ونفت الذرية والتناسل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾، وأثبتت الرابعة عظمته وجلاله ونفت الأنداد والأضداد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

فالسورة شاملة جامعة لإثبات صفات الجلال والكمال، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص.

تفسير سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ .

سورة الفلق سورة مدنية؛ ذكر الله ـ عز وجل ـ فيها أن الإنسان في هذه الدنيا معرض للابتلاء والمصائب، وقد مر على النبي ﷺ الشدائد والمخاطر في سبيل الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ، وهذه السورة والتي بعدها توجيه من الله ـ سبحانه وتعالى ـ للعياذ بكنفه واللياذ بحماه، وأن يستعيذوا بجلاله وسلطانه من كل مَخُوف، خاف وظاهر، مجهول ومعلوم. ومن ذلك أن اليهود سحروه ﷺ، فأنزل الله المعوذتين فقرأهما ـ عليه الصلاة والسلام ـ، حتى انحل عنه السحر، فكأنما نشط من عقال ليس به بأس، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ أي: يا محمد ﷺ، وأمته معنية بهذا الخطاب، ألتجئ، وأعتصم، وألوذ.

﴿ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ﴾ رب الفلق هو الله، والفلق الصبح، لأن الليل ينفلق عنه.

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ ﴾ أي: أعوذ بالله من شر جميع المخلوقات. يشمل شياطين الإنس والجن والهوام وغير ذلك.

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ ﴾ وأعوذ به ـ سبحانه ـ من شر الليل إذا أقبل ودخل في كل شيء وأظلم. لأن الليل إذا أقبل فهو محل سلطان

الأرواح الشريرة الخبيثة، وفيه تنتشر الشياطين. وفيه تتسلط شياطين الإنس والجن ما لا تتسلط بالنهار، وقيل: أن الغاسق هو القمر.

﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: أقبل.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ أي: وأعوذ به من شر النساء الساحرات. يعقدن الحبال وغيرها، وتنفث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد بقصد السحر.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، مبغض للناس على ما وهبهم الله من نعم، يريد زوالها عنهم، ولا يرضى بما قسمه الله ـ تعالى ـ له.

﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المُعان يكون هذا، وقد قيدها ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه، ولا يترتب عليه أذى بوجه ما، بل لا يجد في قلبه شيئاً من ذلك.

وجاء في الآية ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم، فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائن، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته.

وهذا السورة تضمنت الاستعاذة من أمور أربعة:

أحدهما: شر المخلوقات التي لها شر عموماً.

الثاني: شر الغاسق إذا وقب.

الثالث: شر النفاثات في العقد.

الرابع: شر الحاسد إذا حسد.

فتضمنت الاســتعاذة من هذه الشــرور كلها بأوجز لفظ وأجمعه، وأدله على المراد، وأعمه استعاذة، بحيث لم يبق شر من الشرور، إلا دخل تحت الشر المتسعاذ منه فيهما.

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝ ﴾ .

سورة الناس سورة مدنية، فيها الاستجارة والاحتماء برب الأرباب من شر أعدى الأعداء، إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين من الجن يزين له الكفر والفسوق والعصيان، فعلم المسلم أن يدافع تلك الشياطين وذلك بالالتجاء والاعتصام بالله ـ سبحانه ـ ليحفظه ويقيه شرهم، ومن ذلك قراءة هذه السورة العظيمة، وفي الحديث أن النبي ﷺ «كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذتين. . » وقد ذكر الله في هذه السورة ربوبيته للناس، وملكه لهم، وإلهيته لهم، فإضافة الربوبية المتضمنة لخلقهم وتدبيرهم وتربيتهم وإصلاحهم، وجلب مصالحهم، وما يحتاجون إليه، ودفع الشر عنهم، وحفظهم مما يفسدهم. وأما إضافة الملك فهو ملكهم المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، وهو المتصرف لهم، المدبر لهم كما يشاء، النافذ القدرة فيهم، والإضافة الثالثة فهو إلههم، الحق، ومعبودهم الذي لا إله سواه، ولا معبود لهم غيره، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾ .

﴿ قُلْ ﴾ أي: يا محمد ﷺ وأمته معنية بهذا الخطاب.

﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أي: ألتجئ وأعتصم، وأعوذ برب الناس وهو الذي رباهم بنعمه وهو الله ـ عز وجل ـ.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ أي: الملك الذي له السلطة العليا في الناس، والتصرف الكامل وهو الله ـ عز وجل ـ.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ أي: مألوههم ومعبودهم الحق الذي يتوجهون إليه بأنواع العبادة، فالمعبود حقاً الذي تألهه القلوب وتحبه وتعظمه.

وهذه ثلاث صفات من صفات الرب ـ عز وجل ـ: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه. وجميع الأشياء مخلوقة ومملوكه له، فأمر ـ سبحانه ـ المتعوذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو الشيطان.

﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الذي يخنس وينهزم ويولي ويدبر عند ذكر الله ـ عز وجل ـ، وخنس: أي كف وأقصر.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وسوسته هي الدعاء إلى طاعته بإيحاء خفي يصل إلى القلب من غير سماع صوت ويلقي أحاديث السوء في النفوس، ثم بين ـ سبحانه ـ الذي يوسوس بأنه ضربان: جني أو إنسي.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ أي: الجن.

والوساوس تكون من الجن، وتكون من بني آدم، أما وسوسة الجني فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأما وسوسة بني آدم فما يوحي بعضهم

إلى بعض من الشر ويزينونه في قلوبهم.

والمعنى: من شر الوسـواس، ومن شر الناس، كأنه أمر أن يستعيذ من الجن والإنس، والسـورة تتضمن الاسـتعاذة من العيوب التي أصلها كلها الوسوسة.

وقد جاءت الاسـتعاذة في هاتين السـورتين باسم الرب والملك والإله، وجاءت الربوبية فيها مضافة إلى الخلق وإلى الناس، ولا بد من أن يكون ما وصف به نفسـه في هاتين السورتين يناسب الاستعاذة المطلوبة،، ويقتضي دفع الشر المستعاذ منه أعظم مناسبة وأبينها.

وقد جاء في الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ «قل هو الله أحد» و«المعوذتين» ثم مسـح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً» [رواه أهل السنن].

